

والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع .  
وأكثر الناس لا يعلمون كثيراً من هذه الأقوال ولذلك كثر بينهم القيل والقال ،  
وما ذكرناه إشارة إلى مجامع المذاهب ... انتهى .

\*\*\*

## فصل آخر

فيما قاله الإمام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في مسألة اللفظ  
كما في كتابه « موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » (١)

● القرآن كلام الله بلفظه جبريل لمحمد ، ومحمد للناس برسالتها :

لما كان السلف والائمة متفقين على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وقد علم  
المسلمون أن القرآن بلفظه جبريل عن الله إلى محمد وبلغه محمد إلى الخلق ، وأن  
الكلام إذا بلفظه المبلغ عن قائله لم يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه ، بل هو كلام  
لمن قاله مبتدئاً ، لا كلام من بلفظه عنه مؤدياً . فالنبي ﷺ إذا قال : « إنما  
الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » وبلغ هذا الحديث عنه واحد بعد واحد  
حتى وصل إلينا كان المعلوم أننا إذا سنعناه من المحدث به إنما سمعنا كلام رسول  
الله ﷺ الذي تكلم به بلفظه ومعناه ، وإنما سنعناه عن المبلغ عنه بفعله وصوته ،  
ونفس الصوت الذي تكلم به النبي ﷺ لم نسمعه ، وإنما سمعنا صوت المحدث  
عنه والكلام كلام رسول الله ﷺ لا كلام المحدث ، فمن قال إن هذا الكلام ليس  
كلام رسول الله ﷺ كان مفترياً ، وكذلك من قال إن هذا لم يتكلم به رسول الله  
ﷺ وإنما أحدثه في غيره ، أو أن النبي ﷺ لم يتكلم بلفظه وحروفه بل كان  
ساكتاً أو عاجزاً عن التكلم بذلك فعلم غيره ما في نفسه فنظم هذه الألفاظ ليعبر

(١) ج ١ ص ١٥٣ - هامش منهاج السنة .

عما فى نفس النبى ﷺ ونحو هذا الكلام - فمن قال هذا كان مفترياً ، ومن قال إن هذا الصوت المسموع صوت النبى ﷺ كان مفترياً ، فإذا كان هذا معقولاً فى كلام المخلوق فكلام الخالق أولى بإثبات ما يستحقه من صفات الكمال وتنزيه الله أن تكون صفاته وأفعاله هى صفات العباد وأفعالهم أو مثل صفات العباد وأفعالهم .

فالسلف والأئمة كانوا يعلمون أن هذا القرآن المنزل المسموع من القارئين كلام الله كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (١) ليس هو كلاماً لغيره لا لفظه ولا معناه ، ولكن بلغه عن الله جبريل وبلغه محمد عن جبريل ، ولهذا أضافه الله إلى كل من الرسولين ، لأنه بلغه وأداه لا لأنه أحدثه لا لفظه ولا معناه ، إذ لو كان أحدهما هو الذى أحدث ذلك لم يصح إضافة الإحداث إلى الآخر فقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ، قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ \* وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ ، قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ \* تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) فهذا محمد ﷺ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ \* مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ (٣) فهذا جبريل عليه السلام ، وقد توعد تعالى من قال : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ (٤) .

● أصوات القارئین المبلّغين كلام الله مخلوقة وهو غير مخلوق :

فمن قال : إن هذا القرآن قول البشر فقد كفر ، وقال بقول الوحيد الذى أوعدّه الله سقر ، ومن قال : إن شيئاً منه قول البشر فقد قال ببعض قوله ، ومن قال : إنه ليس بقول رسول كريم وإنما هو قول شاعر أو مجنون أو مفتر ، أو قال : هو قول شيطان نزل به عليه ... ونحو ذلك فهذا أيضاً كافر ملعون .

(٢) الحاقة : ٤٣ - ٤٤

(٤) المدثر : ٢٥

(١) التوبة : ٦

(٣) التكوير : ١٩ - ٢١

(٣٦ - الرسائل والفتاوى / ١ )

وقد عَلِمَ المسلمون الفرق بين أن يُسمع كلام المتكلم منه أو من المبلِّغ عنه ، وأن موسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة ، وأنا نحن إنما نسمع كلام الله من المبلِّغين عنه ، وإن كان الفرق ثابتاً بين مَنْ سمع كلام النبي ﷺ منه وَمَنْ سمعه من صاحب المبلِّغ عنه فالفرق هنا أولى . لأن أفعال المخلوق وصفاته أشبه بأفعال المخلوق وصفاته ، من أفعاله وصفاته بأفعال الله وصفاته .

ولما كان الجهمية يقولون : إن الله لم يتكلم في الحقيقة بل خلق كلاماً في غيره ، وَمَنْ أطلق منهم أن الله تكلم حقيقة فهذا مراده فالنزاع بينهم لفظي ، كان من المعلوم أن القائل إذا قال : هذا القرآن مخلوق كان مفهوم كلامه أن الله لم يتكلم بهذا القرآن ، وأنه هو ليس بكلامه بل خلقه في غيره ، وإذا فسّر مراده بأننى أردت أن حركات العبد وصوته والمداد مخلوق ، كان هذا المعنى - وإن كان صحيحاً - ليس هو مفهوم كلامه ولا معنى قوله ، فإن المسلمين إذا قالوا : هذا القرآن كلام الله ، لم يريدوا بذلك أن أصوات القائلين وحركاتهم قائمة بذات الله ، كما أنهم إذا قالوا : هذا الحديث حديث رسول الله ﷺ لم يريدوا بذلك أن حركات المحدث وصوته قامت بذات رسول الله ﷺ ، بل وكذلك إذا قالوا في إنشاد المنشد : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » هذا شعر لبيد وكلام لبيد ، لم يريدوا بذلك أن صوت المنشد هو صوت لبيد ، بل أرادوا أن هذا القول المؤلف لفظه ومعناه هو للبيد وهذا منشد له .

فَمَنْ قال : إن هذا القرآن مخلوق ، أو إن القرآن المنزّل مخلوق .. أو نحو هذه العبارات كان بمنزلة مَنْ قال : إن هذا الكلام ليس هو كلام الله ، وبمنزلة مَنْ قال عن الحديث المسموع من المحدث : إن هذا ليس كلام رسول الله ﷺ ، وإن النبي ﷺ لم يتكلم بهذا الحديث ، وبمنزلة مَنْ قال : إن هذا الشعر ليس هو شعر لبيد ولم يتكلم به لبيد ، ومعلوم أن هذا كله باطل .

## ● أقوال فرق الجهمية الثلاث فى القرآن :

ثم إن هؤلاء صاروا يقولون : هذا القرآن المنزل المسموع هو تلاوة القرآن وقراءة القرآن مخلوقة ، ويقولون : تلاوتنا للقرآن مخلوقة ، وقراءتنا له مخلوقة . ويدخلون فى ذلك نفس الكلام المسموع ويقولون : لفظنا بالقرآن مخلوق . ويدخلون فى ذلك القرآن الملفوظ المتلو المسموع ، فأنكر الإمام أحمد وغيره من أئمة السنَّة هذا وقالوا : اللَّفْظِيَّةُ جهمية . وقالوا : اختلفت الجهمية ثلاث فرق .. فرقة قالت : القرآن مخلوق ، وفرقة قالت : نقف فلا نقول مخلوق ولا غير مخلوق ، وفرقة قالت : تلاوة القرآن واللفظ بالقرآن مخلوق ، فلما انتشر ذلك عن أهل السنَّة غلظت طائفة فقالت : لفظنا بالقرآن غير مخلوق وتلاوتنا له غير مخلوقة . فبدع الإمام أحمد هؤلاء ، وأمر بهجرهم ، ولهذا ذكر الأشعرى فى مقالاته هذا عن أهل السنَّة وأصحاب الحديث فقال : والقول باللفظ والوقف عندهم بدعة : مَنْ قال اللفظ بالقرآن مخلوق فهو مبتدع عندهم ، وَمَنْ قال غير مخلوق فهو مبتدع .

وكذلك ذكر محمد بن جرير الطبرى فى صريح السنَّة أنه سمع غير واحد من أصحابه يذكر عن الإمام أحمد أنه قال : مَنْ قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى ، وَمَنْ قال : إنه غير مخلوق فهو مبتدع . وصنَّف أبو محمد بن قتيبة فى ذلك كتاباً ، وقد ذكر أبو بكر الخلال هذا فى كتاب السنَّة وبسط القول فى ذلك وذكر ما صنَّفه أبو بكر المروذى فى ذلك ، وذكر قصة أبى طالب المشهورة عن أحمد التى نقلها عنه أكابر أصحابه كعبد الله وصالح ابنه والمروذى وأبى محمد فوزان ومحمد بن إسحاق الصنعانى وغير هؤلاء .

## ● سبب اختلاف أئمة الحديث فى لفظ القارئ للقرآن :

وكان أهل الحديث قد اختلفوا فى ذلك فصار طائفة منهم يقولون : لفظنا بالقرآن غير مخلوق ، ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق ، وليس مرادهم

صوت العبد ، كما يُذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي ومحمد بن داود المصيصي وطوائف غير هؤلاء ، وفي أتباع هؤلاء ، مَنْ قد يُدخل صوت العبد أو فعله في ذلك أو يقف ، ففهم ذلك بعض الأئمة فصار يقول : أفعال العباد أصواتهم مخلوقة ، رداً لهؤلاء ، كما فعل البخاري ومحمد بن نصر المروزي وغيرهما من أهل العلم والسنة ، وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك ألفاظ مشتركة وأهواء للنفوس حصل بذلك نوع من الفرقة والفتنة .

وحصل بين البخاري وبين محمد بن يحيى الذهلي في ذلك ما هو معروف ، وصار قوم مع البخاري كمسلم بن الحجاج ونحوه وقوم عليه كأبي زرعة وأبي حاتم وغيرهما ، وكل هؤلاء ، من أهل العلم والسنة والحديث وهم أصحاب أحمد بن حنبل ولهذا قال ابن قتيبة : إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم إلا في مسألة اللفظ .

وصار قوم يطلقون القول بأن التلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء ، وليس مرادهم بالتلاوة المصدر ولكن الإنسان إذا تكلم بالكلام فلا بد له من حركة ومما يكون عن الحركة من أقواله التي هي حروف منظومة ومعان مفهومة .

والقول والكلام يُراد به تارة المجموع فتدخل الحركة في ذلك ويكون الكلام نوعاً من العمل وقسماً منه ، ويُراد به تارة ما يقتصر بالحركة ويكون عنها لا نفس الحركة فيكون الكلام قسماً للعمل ونوعاً آخر ليس هو منه .

ولهذا تنازع العلماء في لفظ العمل المطلق هل يدخل فيه الكلام على قولين معروفين لأصحاب أحمد وغيرهم ، وبنوا على ذلك ما إذا حلف لا يعمل اليوم عملاً فتكلم هل يحنث ؟ على قولين : وذلك لأن لفظ الكلام قد يدخل في العمل وقد لا يدخل ، فالأول كما في قول النبي ﷺ : « لا تحاسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فهو يقول : لو أوتيت مثل

ما أُوتِيَ هذا لَعَمَلْتُ مثل ما يعمل « ( كما أخرجهُ الشيخان في الصحيحين ) ،  
 فقد جعل فعل هذا الذي يتلوه آناء الليل والنهار عملاً كما قال : لَعَمَلْتُ فيه  
 مثل ما يعمل الثاني ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ  
 وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ  
 وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ  
 تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ (٢) .

فالذين قالوا : التلاوة هي المتلو من أهل العلم والسنة قصدوا أن التلاوة  
 هي القول والكلام المتلو ، وآخرون قالوا : بل التلاوة غير المتلو والقراءة غير  
 المقروء .

والذين قالوا ذلك من أهل السنة والحديث أرادوا بذلك أن أفعال العباد ليست  
 هي كلام الله ولا أصوات العباد هي صوت الله ، وهذا الذي قصده البخاري وهو  
 مقصود صحيح .

● قراءة القرآن بمعنى « المصدر » فعل العبد ، وبمعنى « المقروء »  
 كلام الرب :

وسبب ذلك أن لفظ التلاوة والقراءة واللفظ مجتل مشترك ، يُراد به المصدر  
 ويُراد به المفعول ، فمن قال : اللفظ ليس هو الملتفوظ والقول ليس هو المتقول ،  
 وأراد باللفظ والقول المصدر ، كان معنى كلامه أن الحركة ليست هي الكلام  
 المسموع وهذا صحيح ، ومن قال : اللفظ هو الملتفوظ والقول هو نفس المتقول ،  
 وأراد باللفظ والقول نفس المتقول وأراد باللفظ والقول مسمى المصدر ، صار  
 حقيقة مراده أن اللفظ والقول هو الكلام المتقول الملتفوظ وهذا صحيح .

(٢) بونس : ٦١

(١) فاطر : ١٠

● غرض المبتدعة من قولهم « تلاوة القرآن وألفاظه مخلوقة » :

فَمَنْ قال : اللفظ بالقرآن أو القراءة أو التلاوة مخلوقة ، أو لفظى بالقرآن أو تلاوتى - دخل فى كلامه نفس الكلام المقروء المتلو ، وذلك هو كلام الله تعالى ، وإن أراد بذلك مجرد فعله وصوته كان المعنى صحيحاً ، لكن إطلاق اللفظ يتناول هذا وغيره ، ولهذا قال أحمد فى بعض كلامه : مَنْ قال لفظى بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو جهسى ، احترازاً عما إذا أراد به فعله وصوته .

وذكر اللالكائى : أن بعض مَنْ كان يقول ذلك رأى فى منامه كأن عليه فروة ورجل يضربه ، فقال له : لا تضربنى ، فقال : إنى لا أضربك وإنما أضرب الفروة ، فقال : إن الضرب إنما يقع ألمه على . فقال : هكذا إذا قلت لفظى بالقرآن مخلوق وقع الخلق على القرآن .

وَمَنْ قال : لفظى بالقرآن غير مخلوق أو تلاوتى - دخل فى ذلك المصدر الذى هو عمله ، وأفعال العباد مخلوقة ، ولو قال : أردت به أن القرآن المتلو غير مخلوق لا نفس حركاتى ، قيل : لفظك هذا بدعة وفيه إجمال وإبهام ، وإن كان مقصودك صحيحاً فلماذا منع أئمة السنّة الكبار إطلاق هذا وهذا وكان هذا وسطاً بين الطرفين .

وكان أحمد وغيره من الأئمة يقولون : القرآن حيث تصرف كلام الله غير مخلوق ، من غير أن يقرن بذلك ما يُشعر أن أفعال العباد وصفاتهم غير مخلوقة .

وصارت كل طائفة من النُفاة والمثبتة فى مسألة التلاوة تحكى قولها عن أحمد ، وهم كما ذكر البخارى فى كتاب « خلق الأفعال » ، وقال : إن كل واحدة من هاتين الطائفتين تذكر قولها عن أحمد وهم لا يفقهون قوله لدقة معناه .

ثم صار ذلك التفرق موروثاً في أتباع الطائفتين ، فصارت طائفة تقول : إنُّ اللفظ بالقرآن غير مخلوق - موافقة لأبي حاتم الرازي ومحمد بن داود المصيصي وأمثالهما كأبي عبد الله بن منده وأهل بيته وأبي عبد الله بن حامد وأبي نصر السجزي وأبي إسماعيل الأنصاري وأبي يعقوب الفرات الهروي وغيرهم . وقوم يقولون نقيض هذا القول من غير دخول في مذهب ابن كلاب مع اتفاق الطائفتين على أن القرآن كله كلام الله لم يحدث غيره شيئاً منه ، ولا خلق منه شيئاً في غيره ، لا حروفه ولا معانيه . مثل حسين الكرايسى وداود بن علي الأصبهاني وأمثالهما .

### ● بدعة ابن كلاب في الكلام ومسألة اللفظ في القرآن :

وحدث مع هذا من يقول بقول ابن كلاب : إنُّ كلام الله معنى واحد قائم بنفس المتكلم هو الأمر بكل ما أمر به والنهي عن كل ما نهى عنه والإخبار بكل ما أخبر به ، وأنه إن عبّر عنه بالعربية كان هو القرآن وإن عبّر عنه بالعبرية كان هو التوراة .

وجمهور الناس من أهل السنة والمعتزلة وغيرهم أنكروا ذلك وقالوا : إن فساد هذا معلوم بصريح العقل فإن التوراة إذا عبّرت لم تكن هي القرآن ولا معنى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ <sup>(١)</sup> هو معنى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> . وكان يوافقهم على إطلاق القول بأن التلاوة غير المتلو وأنها مخلوقة من لا يوافقهم على هذا المعنى . بل قصده أن التلاوة أفعال العباد وأصواتهم ، وصار أقوام يطلقون القول بأن التلاوة غير المتلو وأن اللفظ بالقرآن مخلوق . فمنهم من يعرف أنه موافق لابن كلاب ، ومنهم من يعرف مخالفته له ، ومنهم من لا يعرف منه لا هذا ولا هذا ، وصار أبو الحسن الأشعري ونحوه ممن يوافق ابن كلاب على قوله موافقاً للإمام أحمد وغيره من أئمة السنة في المنع من إطلاق هذا وهذا ،

(٢) المسد : ١

(١) الإخلاص : ١

فيمنعون أن يُقال : اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق ، وهؤلاء منعه من جهة كونه يقال فى القرآن إنه بلفظ أو لا بلفظ ، وقالوا : اللفظ الطرح والرمى . ومثل هذا لا يقال فى القرآن . ووافق هؤلاء على التعليل بهذا طائفة ممن لا يقول بقول ابن كلاب فى الكلام كالقاضى أبى يعلى وأمثاله . ووقع بين أبى نعيم الأصبهانى وأبى عبد الله بن مندة فى ذلك ما هو معروف ، وصنّف أبو نعيم فى ذلك كتابه فى الرد على اللفظية والحلولية ، ومال فيه إلى جانب النفاة القائلين بأنّ التلاوة مخلوقة ، كما مال ابن مندة إلى جانب من يقول إنها غير مخلوقة . وحكى كل منهما عن الأئمة ما يدل على كثير من مقصوده لا على جميعه . فما قصده كل منهما من الحق وجد فيه من المنقول الثابت عن الأئمة ما يوافقه .

وكذلك وقع بين أبى ذر الهروى وأبى نصر السجزى فى ذلك حتى صنّف أبو نصر السجزى كتابه الكبير فى ذلك المعروف بـ « الإبانة » وذكر فيه من الفوائد والآثار والانتصار للسنة وأهلها أموراً عظيمة المنفعة . لكنه نصر فيه قول من يقول : لفظى بالقرآن غير مخلوق ، وأنكر على ابن قتيبة وغيره ما ذكره من التفصيل ، ورجّح طريقة من هجر البخارى ، وزعم أن أحمد بن حنبل كان يقول : لفظى بالقرآن غير مخلوق ، وأنه رجع إلى ذلك ، وأنكر ما نقله الناس عن أحمد من إنكاره على الطائفتين - وهى مسألة أبى طالب المشهورة ، وليس الأمر كما ذكره ، فإنّ الإنكار على الطائفتين مستفيض عن أحمد عند أخص الناس به من أهل بيته وأصحابه الذين اعتنوا بجمع كلام أحمد ، كالمروذى والخلال وأبى بكر عبد العزيز وأبى عبد الله بن بطة وأمثالهم . وقد ذكروا من ذلك ما يعلم كل عارف له أنه من أثبت الأمور عن أحمد .

### ● أصح قولى المتبعين لقول أحمد من المحدثين والنظار :

وهؤلاء العراقيون أعلم بأقوال أحمد من المنتسبين إلى السنة والحديث من أهل خراسان الذين كان ابن مندة وأبو نصر وأبو إساعيل الهروى وأمثالهم يسلكون حذوهم ، ولهذا صنّف عبد الله بن عطاء الإبراهيمى كتاباً فيمن أخذ عن أحمد العلم ، فذكر طائفة ذكر منهم أبى بكر الخلال وضمن أنه أبو محمد الخلال شيخ

القاضي أبي يعلى وأبى بكر الخطيب فاشتبه عليه هذا بهذا ، وهذا كما أن العراقيين المنتسبين إلى أهل الإثبات من أتباع ابن كلاب - كأبى العباس القلانسي وأبى الحسن الأشعري وأبى الحسن على بن مهدي الطبري والقاضي أبى بكر الباقلاني وأمثالهم - أقرب إلى السنّة وأتبع لأحمد بن حنبل وأمثاله من أهل خراسان المائلين إلى طريقة ابن كلاب ، ولهذا كان القاضي أبو بكر بن الطيب يكتب في أجوبته أحياناً : « محمد بن الطيب الحنبلي » كما كان يقول الأشعري ، إذ كان الأشعري وأصحابه منتسبين إلى أحمد بن حنبل وأمثاله من أئمة السنّة ، وكان الأشعري أقرب إلى مذهب أحمد بن حنبل وأهل السنّة من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة كابن عقيل وصدقة بن الحسين وابن الجوزي وأمثالهم .

وكان أبو ذر الهروي قد أخذ طريقة الباقلاني وأدخلها إلى الحرم ، ويقال إنه أول من أدخلها إلى الحرم ، وعنه أخذ ذلك من أخذه من أهل المغرب ، فإنهم كانوا يسمعون عليه البخاري ويأخذون ذلك عنه كما أخذه أبو الوليد الباجي . ثم رحل الباجي إلى العراق فأخذ طريقه الباقلاني عن أبى جعفر السمناني الحنفي قاضي الموصل صاحب الباقلاني .

ونحن قد بسطنا الكلام في هذه المسائل وبيّنا ما حصل فيها من النزاع والاضطراب في غير هذا الموضع .. انتهى

\* \* \*

### فصل آخر

أو فتوى في مسألة الكلام لشيخ الإسلام رحمه الله  
 • حكم من أنكر تكليم الله لموسى وأخذ جبريل القرآن عن الله تعالى :

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رجل قال : إن الله لم يكلم موسى تكليماً ، وإنما خلق الكلام والصوت في الشجرة ، وموسى عليه السلام سمع من الشجرة لا من الله ، وأن الله عز وجل لم يكلم جبريل بالقرآن وإنما أخذه من اللوح المحفوظ ، فهل هو على الصواب أم لا ؟

● فأجاب : الحمد لله ، ليس هذا على الصواب ، بل هذا ضال مفتر كاذب باتفاق سلف الأمة وأئمتها ، بل هو كافر يجب أن يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل ، وإذا قال : لا أكذب بلفظ القرآن وهو قوله : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (١) بل أقرُّ بأن هذا اللفظ حق لكن أنفى معناه وحقيقته (٢) .

● مذهب الجهمية فى نفى الصفات والتكليم وما كان عليه أئمة الدين :

فإن هؤلاء هم الجهمية (٣) الذين اتفق السلف والأئمة على أنهم من شر أهل الأهواء والبدع حتى أخرجهم كثير من الأئمة عن الشنتين والسبعين فرقة .

وأول من قال هذه المقالة فى الإسلام كان يقال له الجعد بن درهم (٤) فضحى به خالد بن عبد الله القسرى يوم أضحى ، فإنه خطب الناس فقال فى خطبته : ضحوا أيها الناس ، تقبل الله ضحاياكم ، فإنى مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً . ثم نزل فذبحه . وكان ذلك فى زمن التابعين فشكروا ذلك ، وأخذ هذه المقالة عنه جهم بن صفوان وقتله بخراسان سلمة بن أحور ، وإليه نُسبت هذه المقالة التى تسمى مقالة الجهمية ، وهى نفى صفات الله تعالى ، فإنهم يقولون : إن الله لا يرى فى الآخرة ولا يُكلم عباده ، وأنه ليس له علم ولا حياة ولا قدرة ... ونحو ذلك من الصفات ، ويقولون : القرآن مخلوق .

ووافق الجهم على ذلك المعتزلة (٥) أصحاب عمرو بن عبيد وضموا إليها بدعاً أخرى فى القدر وغيره ، ولكن المعتزلة يقولون : إن الله كلم موسى حقيقة

(١) النساء : ١٦٤

(٢) أى هو كافر وإن قال : لا أكذب بلفظ القرآن ... إلخ .

(٣) للتعريف بالجهمية انظر ج ١ ص ١١٧ ، وج ٣ ص ١٢ (البلتاجى) .

(٤) انظر ج ١ ص ١٦٢ ، ج ٣ ص ٢٨ ، ١١١ (البلتاجى) .

(٥) للتعريف بالمعتزلة انظر ج ١ ص ٢١٣ ، وج ٣ ص ١٢ ، ١١١ (البلتاجى) .

وتكلم حقيقة ، لكن حقيقة ذلك عندهم أنه خلق كلاماً فى غيره ، إما فى شجرة ، وإما فى هواء ، وإما فى غير ذلك .. من غير أن يقوم بذات الله عندهم كلام ولا علم ولا قدرة ولا رحمة ولا مشيئة ولا حياة ولا شئ من الصفات .

والجهمية تارة يبوحون بحقيقة القول ، فيقولون : إن الله لم يكلم موسى تكليماً ولا يتكلم ، وتارة لا يظهرون هذا اللفظ لما فيه من الشناعة المخالفة لدين الإسلام واليهود والنصارى ، فيقرون باللفظ ولكن يقرنونه بأنه خلق فى غيره كلاماً .

وأئمة الدين كلهم متفقون على ما جاء به الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة من أن الله كلم موسى تكليماً ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن المؤمنين يرون ربهم فى الآخرة ، كما تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ ، وأن لله علماً وقدرة ونحو ذلك .

### ● تصريح خمسمائة وخمسون من التابعين وأئمة الأمصار بعدم خلق القرآن :

ونصوص الأئمة فى ذلك مشهورة متواترة حتى إن أبا القاسم الطبرى الحافظ لما ذكر فى كتابه فى شرح أصول السنة مقالات السلف والأئمة فى الأصول ذكر من قال : « القرآن كلام الله غير مخلوق » وقال : فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً أو أكثر من التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة ، على اختلاف الأعصار ومضى السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم ، ولو اشتغلت بنقل قول أهل الحديث لبلغت أسماؤهم ألوفاً ، لكنى اختصرت فنقلت عن هؤلاء ، عصاراً بعد عصر لا ينكر عليهم منكر ، ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه ، قال : ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال : « القرآن مخلوق » جعد بن درهم فى سنة نيف وعشرين ومائة ، ثم جهم بن صفوان<sup>(١)</sup> ، فأما جعد فقتله خالد بن عبد الله القسرى ، وأما جهم فقتل بمرو فى خلافة هشام بن عبد الملك .

(١) انظر ص ٢٨ من هذا الجزء ( البلتاجى ) .

وروى بإسناده عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه من وجهين أنهم قالوا له يوم صفين : حكمت رجلين ؟ فقال : ما حكمت مخلوقاً ، ما حكمت إلا القرآن ، وعن عكرمة قال : كان ابن عباس فى جنازة ، فلما وُضِعَ الميت فى لحده قام رجل وقال : اللهم رب القرآن اغفر له ، فوثب إليه ابن عباس فقال : مه ، القرآن منه ، وعن عبد الله بن مسعود قال : من حلف بالقرآن فعليه بكل آية يمين ، وهذا ثابت عن ابن مسعود ، وعن سفيان بن عيينة قال : سمعت عمرو بن دينار يقول : أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون : القرآن كلام الله ، منه بدأ وإليه يعود - وفى لفظ يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق - وقال حرب الكرماني حدثنا إسحاق بن إبراهيم - يعنى ابن راهويه - عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : أدركت الناس منذ سبعين ، أدركت أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم يقولون : الله الخالق وما سواه مخلوق ، إلا القرآن فإنه كلام الله ، منه خرج وإليه يعود .

وهذا قد رواه عن ابن عيينة إسحاق ، وإسحاق إما أن يكون سمعه منه أو من بعض أصحابه عنه ، وعن جعفر الصادق بن محمد - وهو مشهور عنه - أنهم سأله عن القرآن : أخالق هو أم مخلوق ؟ فقال : ليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله .

#### ● النقول عن الأئمة الأربعة وأمثالهم : « أن القرآن غير مخلوق » :

وهكذا روى عن الحسن البصرى وأيوب السختياني وسليمان التيمي وخلق من التابعين . وعن مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثورى وابن أبى ليلى وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ، وأمثال هؤلاء من الأئمة ، وكلام هؤلاء الأئمة وأتباعهم فى ذلك كثير مشهور ، بل اشتهر عن أئمة السلف تكفير من قال : « القرآن مخلوق » ، وأنه يُستتاب فإن تاب

وإلا قُتِلَ ، كما ذكروا ذلك عن مالك بن أنس وغيره ، ولذلك قال الشافعي لحفص الفرد - وكان من أصحاب ضرار بن عمرو من يقول : « القرآن مخلوق » ، فلما ناظر الشافعي وقال له : القرآن مخلوق ، قال له الشافعي : كفرت بالله العظيم ( ذكره ابن أبي حاتم في الرد على الجهمية ) ، قال : كان في كتابي عن الربيع بن سليمان قال : حضرت الشافعي - أو حدثني أبو شعيب إلا أنني أعلم حضر عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن عمرو بن يزيد فسأل حفص عبد الله قال : ما تقول في القرآن ؟ فأبى أن يجيبه ، فسأل يوسف بن عمرو فلم يجبه ، وكلاهما أشار إلى الشافعي ، فسأل الشافعي فاحتج عليه وطالت فيه المناظرة ، فقال الشافعي بالحجة بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وكُفِّرَ حفصاً الفرد ، قال الربيع : فلقيت حفصاً في المسجد بعد هذا فقال : أراد الشافعي قتلي .

وأما مالك بن أنس فُقِلَ عنه من غير وجه الرد على من يقول : « القرآن مخلوق » واستتابته ، وهذا المشهور عنه متفق عليه بين أصحابه . وأما أبو حنيفة وأصحابه فقد ذكر أبو جعفر الطحاوي في « الاعتقاد » الذي قال في أوله : « ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة » ( أبي حنيفة النعمان ابن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد ابن الحسن الشيباني ) قال فيه : « وإن القرآن كلام الله ، منه بدأ بلا كيفية قولاً ، وأنزله على نبيه وحيأ ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ، وأثبتوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه وأوعده عذابه وتوعده حيث قال : ﴿ سَأُصَلِّيهِ سَقَرَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فلما أوعد الله سقر لمن قال : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ <sup>(٢)</sup> علمنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر » .

(٢) المدثر : ٢٥

(١) المدثر : ٢٦

● محنة القول بخلق القرآن ونصر الله الحق بأحمد بن حنبل :

وأما أحمد بن حنبل فكلامه فى مثل هذا مشهور متواتر ، وهو الذى اشتهر بمحنة هؤلاء الجهمية (١) ، فإنهم أظهروا القول بإنكار صفات الله تعالى وحقائق أسمائه وأن القرآن مخلوق ، حتى صار حقيقة قولهم تعطيل الخالق سبحانه وتعالى ، ودعوا الناس إلى ذلك ، وعاقبوا من لم يجبههم إما بالقتل وإما بقطع الرزق وإما بالعزل عن الولاية وإما بالحبس أو بالضرب ، وكفروا من خالفهم ، فثبت الله تعالى الإمام أحمد حتى أظهر الله به باطلهم ، ونصر أهل الإيمان والسنة عليهم ، وأذلهم بعد العز ، وأخملهم بعد الشهرة ، واشتهر عند خواص الأمة وعوامها أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وإطلاق القول أن من قال : « إنه مخلوق » فقد كفر .

وأما إطلاق القول بأن الله لم يكلم موسى فهذه مناقضة لنص القرآن فهو أعظم من القول بأن القرآن مخلوق ، وهذا بلا ريب يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، فإنه أنكر نص القرآن ، وبذلك أفتى الأئمة والسلف فى مثله ، والذى يقول : « القرآن مخلوق » فهو فى المعنى موافق له ، فلذلك كفره السلف .

قال البخارى فى كتاب « خلق الأفعال » : قال سفيان الثورى : من قال : « القرآن مخلوق » فهو كافر ، قال : وقال عبد الله بن المبارك من قال : ﴿ إِنِّى أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ (٢) مخلوق ، فهو كافر ولا ينبغى لمخلوق أن يقول ذلك ، قال : وقال ابن المبارك : لا نقول كما قالت الجهمية : « إنه فى الأرض ههنا » ، بل على العرش استوى ، وقيل له : كيف نعرف ربنا ؟ قال : فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه .

(٢) طه : ١٤

(١) انظر ص ٢٨ من هذا الجزء ، ( البلتاجى ) .

وقال : مَنْ قال : « لا إله إلا الله » مخلوق فهو كافر ، وإنا نحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهمية . قال : وقال على بن عاصم : ما الذين قالوا إن لله ولداً أكفر من الذين قالوا إن الله لا يتكلم .

● نقول البخارى فى تكفير السلف للجهمية فى خلق القرآن :

قال البخارى : وكان إسماعيل بن أبى إدريس يسميهم زنادقة العراق ، وقيل له : سمعت أحداً يقول القرآن مخلوق ؟ فقال : هؤلاء الزنادقة . قال : وقال أبو الوليد : سمعت يحيى بن سعيد - وذكر له أن قوماً يقولون : « القرآن مخلوق » - فقال : كيف يصنعون به ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، كيف يصنعون بقوله : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ ؟ قال : وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : نظرتُ فى كلام اليهود والمجوس فما رأيتُ قوماً أضل فى كفرهم منهم ، وإنى لأستجهل مَنْ لا يكفرهم إلا مَنْ لا يعرف كفرهم . قال : وقال سليمان بن داود الهاشمى : مَنْ قال : « القرآن مخلوق » فهو كافر ، وإن كان القرآن مخلوقاً كما زعموا ، فلم صار فرعون أولى بأن يخلد فى النار إذ قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ (١) ؟ وزعموا أن هذا مخلوق ، والذى قال : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ هذا أيضاً قد ادعى ما ادعى فرعون ، فلم صار فرعون أولى أن يخلد فى النار من هذا ؟ وكلاهما عنده مخلوق . فأخبر بذلك أبو عبيد فاستحسنه وأعجبه .

ومعنى كلام هؤلاء السلف رضى الله عنهم : أن مَنْ قال إن كلام الله مخلوق خلقه فى الشجرة أو غيرها - كما قال هذا الجهمى المعتزلى المسؤل عنه ، كان حقيقة قوله : إن الشجرة هى التى قالت لموسى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ (٢) ، ومَنْ قال : « هذا مخلوق » قال ذلك ، فهذا المخلوق

(٢) طه : ١٤

(١) النازعات : ٢٤

عنده كفرعون الذى قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ ، كلاهما مخلوق ، وكلاهما قال ذلك ، فإن كان قول فرعون كفراً فقوله هؤلاء أيضاً كفر ، ولا ريب أن قول هؤلاء يؤول إلى قول فرعون ، وإن كانوا لا يفهمون ذلك ، فإن فرعون كذب موسى فيما أخبر به : من أن ربه هو الأعلى ، وأنه كلمه كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ \* أُسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ كَاذِبًا ﴾ (١) وهو قد كذب موسى فى أن الله كلمه .

● تفنيد قولهم : « إن الله خلق كلامه فى الشجرة فسمعه موسى منها » :

ولكن هؤلاء يقولون : إذا خلق كلاماً فى غيره صار هو المتكلم به ، وذلك باطل وضلال من وجوه كثيرة .

أحدها : أن الله سبحانه أنطق الأشياء كلها نطقاً معتاداً ونطقاً خارجاً عن المعتاد ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ، قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤) ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ (٥) ، وقد ثبت أن الحصى كان يُسَبِّحُ فى يد النبى ﷺ ، وأن الحجر كان يُسَلِّمُ عليه ، وأمثال ذلك من إنطاق الجمادات ، فلو كان إذا خلق

(٣) فصلت : ٢٠ - ٢١

(٢) يس : ٦٥

(١) غافر : ٣٦ - ٣٧

(٥) سورة ص : ١٨

(٤) النور : ٢٤

كلاماً في غيره كان هو المتكلم به كان هذا كله كلام الله تعالى ويكون قد كَلَّمَ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ كَمَا كَلَّمَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، بَلْ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ ، فَكُلُّ نَاطِقٍ فَاللَّهُ خَالِقُ نَطْقِهِ وَكَلَامِهِ ، فَلَوْ كَانَ مُتَكَلِّمًا بِمَا خَلَقَهُ مِنَ الْكَلَامِ لَكَانَ كُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامَهُ حَتَّى كَلَامَ إِبْلِيسَ وَالْكَفَّارِ وَغَيْرِهِمْ ، وَهَذَا تَقُولُهُ غَلَاةُ الْجَهْمِيَّةِ كَابِنِ عَرَبِيٍّ وَأَمْثَالِهِ <sup>(١)</sup> يَقُولُونَ :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا شره ونظامه

وهكذا أشباه هؤلاء من غلاة المشبهة الذين يقولون : إنَّ كَلَامَ الْآدَمِيِّينَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ يَجْعَلُونَ كَلَامَ الْمَخْلُوقِ بِمَنْزِلَةِ كَلَامِ الْخَالِقِ فَأَوْلَيْكَ يَجْعَلُونَ الْجَمِيعَ مَخْلُوقًا وَأَنْ الْجَمِيعَ كَلَامَ اللَّهِ ، وَهَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الْجَمِيعَ كَلَامَ اللَّهِ وَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، وَلِهَذَا كَانَ قَدْ حَصَلَ اتِّصَالٌ بَيْنَ شَيْخِ الْجَهْمِيَّةِ الْخَلُولِيَّةِ وَشَيْخِ الْمَشْبُهَةِ الْخَلُولِيَّةِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْبِدْعِ وَأَمْثَالِهَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الْمَخَالِفَةِ لِدِينِ الْإِسْلَامِ سَلَطَ اللَّهُ ..... <sup>(٢)</sup> أَعْدَاءُ الدِّينِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَكَيْنَصْرُنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ \* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ <sup>(٣)</sup> وَأَيُّ مَعْرُوفٍ أَعْظَمَ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَأَيَّاتِهِ ؟ وَأَيُّ مُنْكَرٍ أَعْظَمَ مِنَ الْإِحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَأَيَّاتِهِ ؟

(١) يُكْتَبَرُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي هَذَا الْبَحْثِ مِنْ هَذَا الْجَمْعِ أَوْ التَّنْظِيرِ بَيْنَ الْجَهْمِيَّةِ وَابْنِ عَرَبِيٍّ وَأَمْثَالِهِ مِنَ الْقَائِلِينَ بِوَحِدَةِ الْوُجُودِ ، وَلَا يَذْكَرُ فِيهِ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا وَهُوَ أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ يَنْكُرُونَ صِفَاتِ الْخَالِقِ هَرَبًا مِنْ تَشْبِيهِهِ بِخَلْقِهِ فَجَعَلُوهُ كَالْعَدَمِ ، وَالْإِتِّحَادِيَّةَ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا مَوْجُودَ غَيْرِهِ ، فَهُوَ الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ عَيْنًا وَصِفَةً ، وَمَنْ ثَمَّ كَانَ كُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامَهُ إِذْ لَا وَجُودَ لْغَيْرِهِ ، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ قَدْ فَصَّلَ مَذْهَبَهُمْ هَذَا وَبَيَّنَّ بَطْلَانَهُ فِي رِسَالَةٍ أُخْرَى مِنْ هَذَا الْمَجْمُوعِ .

(٢) فِي الْكَلَامِ نَقَصَ لَعَلَهُ : « حَتَّى سَلَطَ اللَّهُ عَلَيَّ السَّنَّةَ فَفَضَحُوا أَعْدَاءَ الدِّينِ » أَوْ نَحْوَ هَذَا

(٣) أَخْبَجَ : ٤١ - ٤١

مَا يَنْتَظِمُ بِهِ الْكَلَامُ .

( ٣٧ - الرِّسَالَةُ وَالْفَتَاوَى / ١ )

● ما خلقه الله في مخلوقاته من الصفات والأعراض فهي المتصفة به لا هو :

الوجه الثاني : أن يُقال لهؤلاء الضالين : ما خلقه الله في غيره من الكلام وسائر الصفات وإنما يعود حكمه على ذلك المحل لا على غيره ، فإذا خلق الله في بعض الأجسام حركة أو طعاماً أو لوناً أو ريحاً كان ذلك الجسم هو المتحرك المتلون المتروح المطعوم ، وإذا خلق بمحل حياة أو علماً أو قدرة أو إرادة أو كلاماً كان ذلك المحل هو الحي العالم القادر المرید المتكلم . فإذا خلق كلاماً في الشجرة أو في غيرها من الأجسام كان ذلك الجسم هو المتكلم بذلك الكلام ، كما لو خلق فيه إرادة أو حياة أو علماً ، ولا يكون الله هو المتكلم به ، كما إذا خلق فيه حياة أو قدرة أو سمعاً أو بصرأ ، كان ذلك المحل هو الحي به والقادر به والسميع به والبصير به ، فكما أنه سبحانه لا يجوز أن يكون متصفاً بما خلقه من الصفات المشروطة بالحياة وغير المشروطة بالحياة ، فلا يكون هو المتحرك بما خلقه في غيره من الحركات ، ولا المصوت بما خلقه في غيره من الأصوات ، ولا سمعه ولا بصره وقدرته ما خلقه في غيره من السمع والبصر والقدرة ، فكذلك لا يكون كلامه ما خلقه في غيره من الكلام ولا يكون متكلماً بذلك الكلام .

● الأسماء المشتقة من المصدر يسمى بها مَنْ قام به مسمى المصدر :

الوجه الثالث : أن الاسم المشتق من معنى لا يتحقق بدون ذلك المعنى ، فاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعال التفضيل يمتنع ثبوت معناها دون معنى المصدر التي هي مشتقة منه ، والناس متفقون على أنه لا يكون متحرك ولا متكلم إلا بحركة وكلام ، فلا يكون مرید إلا بإرادة ، وكذلك لا يكون عالم إلا بعلم ، ولا قادر إلا بقدرة ... ونحو ذلك .

ثم هذه الأسماء المشتقة من المصدر إنما يسمى بها مَنْ قام به مسمى المصدر ،  
 فإنما يسمى بالحي مَنْ قامت به الحياة ، وبالمتحرك مَنْ قامت به الحركة ، وبالعالمِ  
 مَنْ قام به العلم ، وبالقادر مَنْ قامت به القدرة ، فأما مَنْ لم يقم به مسمى  
 المصدر فيمتنع أن يسمى باسم الفاعل ونحوه من الصفات . وهذا معلوم  
 بالاعتبار فى جميع النظائر .

وذلك لأن اسم الفاعل ونحوه من المشتقات هو مركَّب يدل على الذات وعلى  
 الصفة ، والمركَّب يمتنع تحققه بدون تحقق مفرداته . وهذا كما أنه ثابت فى  
 الأسماء المشتقة ، فكذلك فى الأفعال مثل : تكلم وكلم وبتكلم ، وعلم ويعلم ،  
 وسمع ويسمع ، ورأى ويرى ... ونحو ذلك سواء ، قيل : إن الفعل المشتق من  
 المصدر أو المصدر مشتق من الفعل ، لا نزاع بين الناس أن فاعل الفعل هو فاعل  
 المصدر ، فإذا قيل : كُلم أو علم أو تكلم أو تعلم ، ففاعل التكليم والتعليم هو  
 المكلم والمعلم ، وكذلك التعلم والتكلم ، والفاعل هو الذى قام به المصدر الذى  
 هو التكليم والتعليم والتكلم والتعلم ، فإذا قيل : تكلم فلان أو كُلم فلان فلاناً ،  
 ففلان هو المتكلم والمكلم ، فقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (١) ،  
 وقوله : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ  
 وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ  
 رَبُّهُ ﴾ (٣) يقتضى أن الله هو المكلم ، فكما يمتنع أن يُقال : هو متكلم بكلام  
 قائم بغيره ، يمتنع أن يقال : كُلم بكلام قائم بغيره .

### ● الرد على الجهمية فى مسألة الكلام من وجوه أخر :

فهذه ثلاثة أوجه (٤) .. أحدها : أنه يلزم الجهمية على قولهم أن يكون كل  
 كلام خلقه الله كلاماً له ، إذ لا معنى لكون القرآن كلام الله إلا كونه خلقه ،

(١) النساء : ١٦٤ (٢) البقرة : ٢٥٣ (٣) الأعراف : ١٤٣

(٤) قوله : فهذه ثلاثة أوجه ، يعنى ما تقدم وقد تحصها فيما يأتى وزاد عليها وجهين آخرين  
 كان ينبغى أن يصرح بزيادتهما .

وكل مَنْ فعل كلاماً ولو فى غيره كان متكلماً به عندهم ، وليس للكلام عندهم مدلول يقوم بذات الرب تعالى لو كان مدلول قائماً يدل لكونه خلق صوتاً فى محل ، والدليل يجب طرده فيجب أن يكون كل صوت يخلقه له كذلك ، وهم يجوزون أن يكون الصوت المخلوق على جميع الصفات ، فلا يبقى فرق بين الصوت الذى هو كلام الله تعالى - على قولهم - والصوت الذى هو ليس بكلام .

الثانى : أن الصفة إذا قامت بمحل كالعلم والثدرة والكلام والحركة عاد حكمه إلى ذلك المحل ولا يعود حكمه إلى غيره .

الثالث : أنه مشتق المصدر منه اسم الفاعل ، والصفة المشبهة به ... ونحو ذلك ولا يشتق ذلك لغيره . وهذا كله بين ظاهر وهو ما بين قول السلف والأئمة أن مَنْ قال : « إن الله خلق كلاماً فى غيره » لزمه أن يكون حكم التكلم عائداً إلى ذلك المحل لا إلى الله .

الرابع : أن الله أكد تكليم موسى بالمصدر فقال : ﴿ تَكَلِّمًا ﴾ ، قال غير واحد من العلماء : التوكيد بالمصدر ينفى المجاز ، لثلا يُظن أنه أرسل إليه رسولاً أو كتب إليه كتاباً . بل كلّمه منه إليه .

الخامس : أن الله فضل موسى بتكليمه إياه على غيره ممن لم يكلمه وقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ ... الآية (١) ، فكان تكليم موسى من وراء الحجاب ، وقال : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكَلِّمًا ﴾ (٣) ، والوحى هو ما نزله الله على قلوب الأنبياء بلا واسطة ، فلو كان تكليمه موسى إنما هو صوت خلقه فى الهواء لكان

(١) الشورى : ٥١ (٢) الأعراف : ١٤٤ (٣) النساء : ١٦٣ - ١٦٤

وحى الأنبياء أفضل منه ، لأن أولئك عرفوا المعنى المقصود بلا واسطة .  
وموسى إنما عرفه بواسطة ، ولهذا كان غلاة الجهمية من الاتحادية ونحوهم  
يدعون أن ما يحصل لهم من الإلهام أفضل مما حصل لموسى بن عمران وهذا من  
أعظم الكفر باتفاق المسلمين .

● مذهب غلاة الجهمية تعطيل للرسالة :

ولما فهم السلف حقيقة مذهب هؤلاء ، وأنه يقتضى تعطيل الرسالة <sup>(١)</sup> ، فإن  
الرسول إنما بعثوا ليبلغوا كلام الله ، بل يقتضى تعطيل التوحيد ، فإن من لا يتكلم  
ولا يقوم به علم ولا حياة هو كالموات ، بل من لا تقوم به الصفات فهو عدم  
محض ، إذ ذات لا صفة لها إنما يمكن تقديرها فى الذهن لا فى الخارج كتقدير  
وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص .

فكان قول هؤلاء مظاهياً لقول المتفلسفة الدهرية الذى يجعلون وجود الرب  
وجوداً مطلقاً بشرط الإطلاق لاصفة له . وقد علم أن المطلق بشرط الإطلاق  
لا يوجد إلا فى الذهن ، وهؤلاء الدهرية ينكرون أيضاً حقيقة تكليمه لموسى  
ويقولون : إنما هو فيض فاض عليه من العقل النعال ، وهكذا يقولون فى الوحي  
إلى جميع الأنبياء . وحقيقة قولهم : أن القرآن قول البشر ، لكنه صدر عن نفس  
صافية شريفة . وإذا كانت المعتزلة خيراً من هؤلاء - وقد كفر السلف من يقول  
بقولهم - فكيف هؤلاء ؟

وكلام السلف والأئمة فى مثل هؤلاء لا يحصى ، قال حرب بن إسماعيل  
الكرمانى : سمعتُ إسحاق بن راهويه يقول : بين أهل العلم اختلاف أن القرآن  
كلام الله وليس بمخلوق ، وكيف يكون شىء من الرب عز ذكره مخلوقاً ؟  
ولو كان كما قالوا لزمهم أن يقولوا : علم الله وقدرته ومشيتته مخلوقة ،

(١) سقط جواب « لما » ، وتقديره ما يناسب المقام نحو : « كفروهم ، أو أنكروا عليهم » .

فإن قالوا ذلك لزمهم أن يقولوا : كان الله تبارك اسمه ولا علم ولا قدرة ولا مشيئة ، وهو الكفر المحض الواضح ، لم يزل الله عالماً متكلماً له المشيئة والقدرة فى خلقه ، والقرآن كلام الله وليس بمخلوق ، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر .

وقال وكيع بن الجراح : من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئاً من الله مخلوق . فقيل له : من أين قلت هذا ؟ قال : لأن الله يقول : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ (١) ولا يكون من الله شيء مخلوق . وهذا القول قاله غير واحد من السلف .

وقال أحمد بن حنبل : كلام الله من الله ليس ببائن منه ، وهذا معنى قول السلف : القرآن كلام الله منه بدأ ومنه خرج وإليه يعود ، كما فى الحديث الذى رواه أحمد وغيره عن جبير بن نفير قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه » - يعنى القرآن . وقد روى أيضاً عن أبى أمامة مرفوعاً . وقال أبو بكر الصديق لأصحاب مسيلمة الكذاب ، لما سمع قرآن مسيلمة : « وَتَحَكَّم ! أين يُذهب بعقولكم ؟ إن هذا كلاماً لم يخرج من إله » - أى من رب .

● تفسير قول السلف فى القرآن : « منه بدأ ومنه خرج » :

وليس معنى قول السلف والأئمة : إنه منه خرج ومنه بدأ ، أنه فارق ذاته وحلّ بغيره ، فإن كلام المخلوق إذا تكلم به لا يفارق ذاته ويحل بغيره ، فكيف يكون كلام الله ؟ قال تعالى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (٢) فقد أخبر أن الكلمة تخرج من أفواههم ومع هذا فلم تفارق ذاتهم .

(٢) الكهف : ٥

(١) السجدة : ١٣

وأيضاً فالصفة لا تفارق الموصوف وتحل بغيره ، لاصفة الخالق ولا صفة المخلوق ، والناس إذا سمعوا كلام النبي ﷺ ثم بلغوه عنه كان الكلام الذي بلغوه كلام رسول الله ﷺ وقد بلغوه بحركاتهم وأصواتهم فالقرآن أولى بذلك ، فالكلام كلام البارئ والصوت صوت القارئ قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (١) ، وقال ﷺ : « زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » .

ولكن مقصود السلف الرد على هؤلاء الجهمية فإنهم زعموا أن القرآن خلقه الله في غيره فيكون قد ابتدأ وخرج من ذلك المحل الذي خُلِقَ فيه لا من الله ، كما يقولون : كلامه لموسى خرج من الشجرة ، فبين السلف والأئمة أن القرآن من الله بدأ وخرج وذكروا قوله : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ (٢) فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات .

و « من » هي لا ابتداء الغاية ، فإن كان المجرور بها عيناً يقوم بنفسه لم يكن صفة لله كقوله : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾ (٣) ، وقوله في المسيح : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ (٤) ، وكذلك ما يقوم بالأعيان كقوله : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (٥) .

وأما إذا كان المجرور بها صفة ولم يُذكر لها محل كان صفة لله كقوله : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ (٦) ، وكذلك قد أخبر في غير موضع من القرآن أن القرآن نزل منه وأنه نزل به جبريل منه رداً على هذا المبتدع المفتري وأمثاله ممن يقول إنه لم ينزل منه قال تعالى : ﴿ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أٰبْتٰغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ، وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (٧) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (٨) وروح القدس هو جبريل ، كما قال في الآية الأخرى :

(٣) الجاثية : ١٣

(٢) السجدة : ١٣

(١) التوبة : ٦

(٦) السجدة : ١٣

(٥) النحل : ٥٣

(٤) النساء : ١٧١

(٨) النحل : ١٠٢

(٧) الأنعام : ١١٤

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا  
لَجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٢) ، وقال هنا : ﴿ نَزَّلَهُ رُوحُ  
الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٣) ، فبيّن أن جبريل نزل من الله لا من هواء ولا من لوح  
ولا غير ذلك ، وكذلك سائر آيات القرآن كقوله : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ  
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ حم \* تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ  
الْعَلِيمِ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ حم \* تَنْزِيلُ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٦) ، وقوله :  
﴿ أَلَمْ \* تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧) ، وقوله :  
﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٨) .

● القرآن منزل من الله لا من اللوح المحفوظ ، واتعمال لفظ الإنزال  
فيه :

فقد بيّن في غير موضع أنه منزل من الله ، فمن قال إنه منزل من بعض  
المخلوقات كاللوح والهواء فهو مفتر على الله مكذب لكتاب الله ، متبع لغير  
سبيل المؤمنين ، ألا ترى أن الله فرق بين ما نزل منه وما نزل من بعض المخلوقات  
كالمطر بأن قال : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ (٩) ، فذكر المطر في غير موضع  
وأخبر أنه نزل من السماء ، والقرآن أخبر أنه منزل منه ، وأخبر بتنزيل مطلق  
في مثل قوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ (١٠) لأن الحديد ينزل من رعوس الجبال  
لا ينزل من السماء ، وكذلك الحيوان فإن الذكر ينزل الماء في الإناث . فلم يقل  
فيه من السماء ، ولو كان جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ لكان اليهود  
أكرم على الله من أمة محمد ، لأنه قد ثبت بالنقل الصحيح أن الله كتب لموسى

(١) الشعراء : ١٩٣ - ١٩٤ (٢) البقرة : ٩٧ (٣) النحل : ١٠٢

(٤) الزمر : ١ ، والجاثية : ٢ ، والأحقاف : ٢ (٥) غافر : ١ - ٢

(٦) فصلت : ١ - ٢ (٧) السجدة : ١ - ٢ (٨) المائدة : ٦٧

(٩) البقرة : ٢٢ (١٠) الحديد : ٢٥

التوراة بيده وأنزلها مكتوبة (١) فيكون بنو إسرائيل قد قرأوا الألواح التي كتبها الله ، وأما المسلمون فأخذوه عن محمد ﷺ ، ومحمد أخذه عن جبريل ، وجبريل عن اللوح ، فيكون بنو إسرائيل بمنزلة جبريل ، وتكون منزلة بنى إسرائيل أرفع من منزلة محمد ﷺ على قول هؤلاء الجهمية ، والله سبحانه جعل من فضائل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه أنزل عليهم كتاباً لا يغسله الماء ، وأنه أنزله عليهم تلاوة لا كتابة ، وفرقه عليهم لأجل ذلك . فقال: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (٣) .

● القرآن كلام الله بلغه جبريل لمحمد ، ومحمد للناس برسالتيهما :

ثم إن كان جبريل لم يسمعه من الله وإنما وجدته مكتوباً كانت العبارة عبارة جبريل وكان القرآن كلام جبريل ترجم به عن الله كما يترجم عن الأخرس الذي كتب كلاماً ولم يقدر أن يتكلم به ، وهذا خلاف دين المسلمين .

وإن احتج بقوله : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ (٤) قيل له : فقد قال في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ، قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ \* وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ، قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٥) ، فالرسول في هذه الآية محمد ﷺ ، والرسول في الأخرى جبريل ، فلو أريد به أن الرسول أحدث عبارته لتناقض الخبران ، فعلم أنه أضافه إليه إضافة تبليغ لا إضافة إحداث ، ولهذا قال : ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ ﴾

(١) المراد بالتوراة هنا أصول الشريعة وهي الرصايا التي في الألواح لا كل أحكام الشريعة من عبادات واحتفالات وعقوبات وغيرها ، فإن هذه شرعت بالتدرج وهذا مجمع عليه عند اليهود .

(٣) الفرقان : ٣٢

(٢) الإسراء : ١٠٦

(٥) الحاقة : ٤١ - ٤٢

(٤) التكوثر : ١٩ - ٢٠

ولم يقل ملك ولا نبي ، ولا ريب أن الرسول بلغه كما قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (١) فكان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموسم ويقول : « ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي ، فإن قریشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي » .

ولما أنزل الله : ﴿ أَلَمْ \* غَلَبَتْ الرُّومُ ﴾ (٢) خرج أبو بكر الصديق فقرأها على الناس فقالوا : هذا كلامك أم كلام صاحبك ؟ فقال : ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ، ولكنه كلام الله .

### ● القرآن منه قديم محدث بالنسبة إلى تنزيله :

وإن احتج بقوله : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ ﴾ (٣) قيل له : هذه الآية حجة عليك ، فإنه لما قال : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ ﴾ عَلِمَ أن الذكر منه مُّحَدَّثٌ ومنه ما ليس بِمُحَدَّثٍ ، لأن النكرة إذا وصفت مُمَيَّزٌ بها بين الموصوف وغيره ، كما لو قال : ما يأتي من رجل مسلم إلا أكرمه ، وما أكل إلا طعاماً حلالاً ونحو ذلك ، ويُعلم أن المُحَدَّثَ في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي ولكنه الذي أنزل جديداً ، فإن الله كان ينزل القرآن شيئاً بعد شيء ، فالمنزل أولاً هو قديم بالنسبة إلى المنزل آخر . وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب ، كما قال : ﴿ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ (٦) ، وقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴾ (٧) ، وكذلك قوله : ﴿ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (٨) لم يقل :

(١) المائدة : ٦٧	(٢) الروم : ١ - ٢	(٣) الأنبياء : ٢
(٤) يس : ٣٩	(٥) يوسف : ٩٥	(٦) الأحقاف : ١١
(٧) الشعراء : ٧٥ - ٧٦	(٨) الزخرف : ٣	

« جعلناه » فقط حتى يُظن أنه بمعنى خلقناه ، ولكن قال : ﴿ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ أي صيرناه عربياً لأنه قد كان قادراً على أن يُنزلهُ عجمياً ، فلما أنزلهُ عربياً كان قد جعلهُ عربياً دون عجمي . وهذه المسألة في أصول أهل الإيمان والسنة التي فارقوا بها الجهمية من المعتزلة والفلاسفة ونحوهم ، والكلام عليها مبسوط في غير هذا الموضع ... والله أعلم .

\* \* \*

## فتوى أخرى

لشيخ الإسلام فى تكليم الله لموسى عليه السلام

وهل هو بحرف وصوت أم لا ؟ ومَن أنكره

• تكفير مَن أنكر تكليم الله لموسى مع العلم بالنص فيه :

مسألة فيمن قال : إنَّ الله لم يكلم موسى تكليماً ، فقال له آخر : بل كَلَّمَهُ تكليماً ، فقال : إن قلت كَلَّمَهُ فالكلام لا يكون إلا بحرف وصوت ، والحرف والصوت محدث ، ومَن قال : إنَّ الله كَلَّم موسى بحرف وصوت فهو كافر ، فهو كما قال أبو لا ؟ .

« الجواب » : الحمد لله .. أما مَن قال إنَّ الله لم يكلم موسى تكليماً فهذا إن كان لم يسمع القرآن فإنه يعرف أنَّ هذا نص القرآن ، فإن أنكره بعد ذلك استتيب ، فإن تاب وإلا قُتِل ، ولا يُقبل منه إن كان كلامه بعد (١) أن يجحد نص القرآن ، بل لو قال : إن معنى كلامى أنه خلق صوتاً فى الهواء فأسمعه موسى كان كلامه أيضاً كُفراً ، وهو قول الجهمية الذين كُفَّهم السلف قالوا : يُستتابون فإن تابوا وإلا قُتِلوا ، لكن مَن كان مؤمناً بالله ورسوله مطلقاً ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب فإنه لا يُحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التى مَن خالفها كفر . إذ كثير من الناس يخطئ فيما يتأوله من القرآن ويجهل كثيراً مما يرد من معانى الكتاب والسنة ، والخطأ والنسيان مرفوعان عن هذه الأمة ، والكفر لا يكون إلا بعد البيان .

والأئمة الذين أمروا بقتل مثل هؤلاء الذين ينكرون رؤية الله فى الآخرة ويقولون : « القرآن مخلوق » ونحو ذلك ، قيل : إنهم أمروا بقتلهم لكفرهم ،

---

(١) كذا ، ولعله : « وإن كان كلامه من غير أن ..... » .

وقيل لأنهم إذا دعوا الناس إلى بدعتهم أضلوا الناس فقَتَلُوا لأجل الفساد فى الأرض وحفظاً لدين الناس أن يضلّوهم .

وبالجملّة فقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الجهمية من شر طوائف أهل البدع ، حتى أخرجهم كثير عن الثنتين والسبعين فرقة .

ومن الجهمية المتفلسفة والمعتزلة الذين يقولون : إن كلام الله مخلوق ، وإنّ الله إنّما كلّم موسى بكلام مخلوق خلقه فى الهواء ، وأنه لا يرى فى الآخرة ، وأنه ليس مابيناً لخلقه ... وأمثال هذه المقالات التى تستلزم تعطيل الخالق وتكذيب رسله وإبطال دينه .

### ● الكفر جحود قطعى فى الشرع لا العقل :

وأما قول الجهمي : إن قلت كلمة فالكلام لا يكون إلا بحرف وصوت ، والحرف والصوت محدث ، ومن قال : إن الله كلّم موسى بحرف وصوت فهو كافر . فيقال لهذا الملحد : أنت تقول إنه كلّمه بحرف وصوت ، لكن تقول بحرف وصوت خلقه فى الهواء وتقول : إنه لا يجوز أن تقوم به الحروف والأصوات لأنها لا تقوم إلا بمتحيز ، والبارى ليس بمتحيز ، ومن قال إنه متحيز فقد كفر . ومن المعلوم أن من جحد ما نطق به الكتاب والسنة كان أولى بالكفر ممن أقر بما جاء به الكتاب والسنة .

وإن قال الجاحد لنص الكتاب والسنة : إن العقل معه ، قال له الموافق للنصوص : بل العقل معى وهو موافق للكتاب والسنة ، فهذا يقول إن معه السمع والعقل ، وذاك إنما يحتج لقوله بما يدعيه من العقل الذى يبين منازعه فساده ، ولو قدر أن العقل معه .

والكفر هو من الأحكام الشرعية وليس كل من خالف شيئاً علّم بنظر العقل يكون كافراً ، ولو قدر أنه جحد بعض صرائح العقول لم يحكم بكفره حتى يكون قوله كفراً فى الشريعة .

وأما مَنْ خالف ما عَلِمَ أَنَّ الرسولَ جاء به فهو كافر بلا نزاع ، وذلك أنه ليس في الكتاب والسنة ولا في قول أحد من سلف الأمة وأئمتها الإخبار عن الله بأنه متحيِّزٌ أو أنه ليس بمتحيِّزٍ ، ولا في الكتاب والسنة أن مَنْ قال هذا وهذا يكفر . وهذا اللفظ مبتدع ، والكفر لا يتعلق بمجرد أسماء مبتدعة لا أصل لها في الكتاب والسنة ، بل يستفسر هذا القائل إذا قال إنَّ الله متحيِّزٌ أو ليس بمتحيِّزٍ ، فإن قال : أعنى بقولي إنه متحيِّزٌ : أنه دخل في المخلوقات وأنَّ المخلوقات قد حازته وأحاطت به - فهذا باطل ، وإن قال : أعنى به أنه محاز عن المخلوقات مياين لها ، فهذا حق .

وكذلك قوله : ليس بمتحيِّزٍ ، إن أراد به أن المخلوق لا يحوز الخالق فقد أصاب ، وإن قال : إنَّ الخالق لا يباين المخلوق وينفصل عنه فقد أخطأ .

● الكلام هل يكون بغير حرف ولا صوت ، وهل يكونان غير حادثين :

وإذا عُرِفَ ذلك فالتناس في الجواب عن حُجَّتِه الداحضة وهي قوله : « لو قلت إنه كُلمه فالكلام لا يكون إلا بحرف وصوت ، والحرف والصوت محدث » ثلاثة أصناف : صنف منعهو المقدمة الأولى ، وصنف منعهو المقدمة الثانية ، وصنف لم يمنعوه المقدمتين بل استفسروه وبيَّنوا أنَّ ذلك لا يمنع أن يكون الله كُلم موسى تكليماً .

فالصنف الأول .. أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب وأبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ومَنْ اتبعهما قالوا : لا نُسَلِّمُ أنَّ الكلام لا يكون إلا بحرف وصوت ، بل الكلام معنى قائم بذات المتكلم ، والحروف والأصوات عبارة عنه ، وذلك المعنى القائم بذات الله تعالى يتضمن الأمر بكل ما أمر به والخبر عن كل

ما أخير عنه ، فإن عبّر عنه بالسريانية كان إنجيلياً ، وقالوا : إنه اسم الكلام حقيقة ، فيكون اسم الكلام مشتركاً أو مجازاً في كلام الخالق ، وحقيقة في كلام المخلوق .

والصنف الثاني .. سلّموا لهم أن الكلام لا يكون إلا بحرف وصوت ومنعومهم المقدمة الثانية ، وهو أن الحرف والصوت لا يكون إلا محدثاً ، وصنف (١) قالوا : إن المحدث كالحادث سواء أكان قائماً بنفسه أو بغيره ، وهو يتكلم بكلام لا يكون قديماً وهو بحرف وصوت ، وهذا قول من يقول : « القرآن قديم وهو بحرف وصوت » كأبي الحسن بن سالم وأتباعه السالمية وطوائف ممن اتبعه ، وقال هؤلاء في الحرف والصوت نظير ما قاله الذين قبلهم في المعاني .

وقالوا : كلام لا بحرف ولا صوت لا يُعقل ، ومعنى يكون أمراً ونهياً وخبراً ممتنع في صريح العقل ، ومن ادعى أن معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحد وإنما اختلفت العبارات الدالة عليه - فقلوه معلوم الفساد بالاضطرار عقلاً وشرعاً ، وإخراج الحروف عن مسمى الكلام مما يُعلم فساده بالاضطرار من جميع اللغات وإن جاز أن يُقال : « إن الحروف والأصوات المخلوقة في غير كلام الله حقيقة » أمكن حينئذ أن يكون كلّم موسى بكلام مخلوق في غيره .

وقالوا لإخوانهم الأولين : إذا قلتُم إن الكلام هو مجرد المعنى وقد خلق عبارة بيان (٢) ، فإن قلتُم : إن تلك العبارة كلامه حقيقة بطلت حججتكم على المعتزلة فإن أعظم حججتكم عليهم قولكم إنه يمتنع أن يكون متكلماً بكلام يخلقه في غيره ، كما يمتنع أن يعلم بعلم قائم بغيره ، وأن يقدر بقُدرة قائمة بغيره ، وأن يريد بإرادة قائمة بغيره ، وإن قلتُم : « هي كلام مجازاً » لزم أن يكون الكلام حقيقة في المعنى مجازاً في اللفظ ، وهذا مما يُعلم فساده بالاضطرار من جميع اللغات .

(١) أي : وصنف آخر من هذا الصنف الثاني - ولذلك تكرر - وإلا صارت الأصناف أربعة .

(٢) هكذا في الأصل ولعله محرف .

## ● حدوث الحرف والصوت لا يقتضى كونه مخلوقاً :

والصنف الثالث .. الذين لم يمنعوا المقدمتين ولكن استفسروهم وبينوا أن هذا لا يستلزم صحة قولكم ، بل قالوا : إن قلتم إن الحرف والصوت محدث بمعنى أنه يجب أن يكون مخلوقاً منه منفصلاً عنه ، فهذا دليل على فساد قولكم وتناقضه ، وهذا قول ممنوع ، وإن قلتم بمعنى أنه لا يكون قديماً فهو مسلم ، لكن هذه التسمية محدثة .

وهؤلاء صنفان : صنف قالوا إن المحدث هو المخلوق المنفصل عنه فإذا قلنا : الحرف والصوت لا يكون إلا محدثاً كان بمنزلة قولنا : لا يكون إلا مخلوقاً ، وحينئذ فيكون هذا المعتزلى أبطل قوله بقوله حيث زعم أنه يتكلم بحرف وصوت مخلوق ، ثم استدل على ذلك بما يقتضى أنه يتكلم لا يتكلم بكلام مخلوق ، وفيه تلبيس .

## ● مذاهب المسلمين فى كلام الله وكونه بحرف وصوت أم لا :

ونحن لا نقول : كلم موسى بكلام قديم ولا بكلام مخلوق ، بل هو سبحانه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء ، كما أنه سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، وأنه سبحانه استوى إلى السماء وهى دخان ، وأنه سبحانه يأتى فى ظلل من الغمام والملائكة ، كما قال : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (١) ، وقال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) ... وأمثال ذلك فى

(٢) الأنعام : ١٥٨

(٤) النوبة : ١٠٥

(١) الفجر : ٢٢

(٣) يس : ٨٢

القرآن والحديث كثير ، يبين الله سبحانه أنه إذا شاء فعل ما أخبر عنه من تكليمه وأفعاله القائمة بنفسه ، وما كان قائماً بنفسه هو كلامه لا كلام غيره ، والمخلوق لا يكون قائماً بالخالق ، ولا يكون الرب محلاً للمخلوقات ، بل هو سبحانه يقوم به ما شاء من كلماته وأفعاله ، وليس من ذلك شيء مخلوقاً ، إنما المخلوق ما كان بائناً عنه . وكلام الله من الله ليس بيائن منه ، ولهذا قال السلف : القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، فقالوا : منه بدأ ، أى هو المتكلم به ، لا أنه خلقه فى بعض الأجسام المخلوقة .

وهذا الجواب هو جواب أئمة أهل الحديث والتصوف والفقهاء وطوائف من أهل الكلام من أئمتهم : من الهشامية والكرامية وغيرهم ، وأتباع الأئمة الأربعة أصحاب أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد ، منهم من يختار جواب الصنف الأول ، وهم الذين يرتضون قول ابن كلاب فى القرآن ، وهم طوائف من متأخري أصحاب مالك والشافعى وأحمد وأبى حنيفة ، ومنهم من يختار جواب الصنف الثانى ، وهم الطوائف الذين ينكرون قول ابن كلاب ويقولون : « إن القرآن قديم » كالسلمية وطوائف من أصحاب مالك والشافعى وأحمد وأبى حنيفة ، ومنهم من يختار جواب الطائفة الثالثة ، وهم الذين ينكرون قول الطائفتين المتقدمتين الكلابية والسلمية .

ثم من هؤلاء من يقول بقول الكرامية ، والكرامية ينتسبون إلى أبى حنيفة ، ومنهم من لا يختار قول الكرامية أيضاً لما فيه من تناقض آخر ، بل يقول بقول أئمة الحديث كالبخارى ، وعثمان بن سعيد الدارمى ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ، ومن قبلهم من السلف ، كأبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ومحمد بن كعب القرظى والزهرى ، وعبد الله بن المبارك ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وما نُقل من ذلك عن الصحابة والتابعين ، وفى ذلك آثار كثيرة معروفة فى كتب السنن والآثار تضيق عنها هذه الورقة .

وبين الأصناف الثلاثة منازعات ودقائق تضيق عنها هذه الورقة ، وقد بسطنا الكلام عليها فى مواضع وبيننا حقيقة كل قول ، وما هو القول الصواب فى صريح المعقول وصحيح المنقول (١) ، لكن هؤلاء الطوائف كلهم متفقون على تضليل مَنْ يقول : « إن كلام الله مخلوق » . والأمة متفقة على أن مَنْ قال : « إن كلام الله مخلوق ، لم يكلم موسى تكليماً » يُستتاب فإن تاب وإلا يُقتل . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً .

\* \* \*

---

(١) قد تقدم كل هذا فى مواضع من هذه المجموعة .

## فتوى أخرى

لشيخ الإسلام رحمه الله في القرآن هل هو بحرف وصوت أم لا ؟  
وفى نقط المصحف وشكله ، هل هما منه أم لا ؟

سئل رحمه الله تعالى عن رجلين تباحثا ، فقال أحدهما : القرآن حرف وصوت ، وقال الآخر : ليس هو بحرف ولا صوت ، وقال أحدهما : النقط التي في المصحف والشكل من القرآن ، وقال الآخر : ليس ذلك من القرآن ، فما الصواب في ذلك ؟

● فأجاب رضى الله عنه : الحمد لله رب العالمين . هذه المسألة يتنازع فيها كثير من الناس ويخلطون الحق بالباطل ، فالذى قال : « إن القرآن حرف وصوت » إن أراد بذلك أن هذا القرآن الذى يُقرأ للمسلمين هو كلام الله الذى نزل به الروح الأمين على محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ، وأن جبريل سمعه من الله والنبي ﷺ سمعه من جبريل ، والمسلمون سمعوه من النبي ﷺ كما قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (٢) فقد أصاب في ذلك ، فإن هذا مذهب سلف الأمة وأئمتها والدلائل على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع .

● تخطئة قول ابن كلاب والأشعري في كلام الله تعالى :

ومن قال : « إن القرآن العربى لم يتكلم الله به وإنما هو كلام جبريل أو غيره » عبر به عن المعنى القائم بذات الله - كما يقول ذلك ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما - فهو قول باطل من وجوه كثيرة .

(٢) الأنعام : ١١٤

(١) النحل : ١٠٢

فإن هؤلاء يقولون : إنه معنى واحد قائم بالذات ، وأن معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحد ، وأنه لا يتعدد ولا يتبعض ، وأنه إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وبالعبرانية كان توراة ، وبالسريانية كان إنجيلاً ، فيجعلون معنى آية الكرسي وآية الدين و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١) و ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ (٢) والتوراة والإنجيل وغيرهما معنى واحداً ، وهذا قول فاسد بالعقل والمشاهدة ، وهو قول أحدثه ابن كلاب لم يسبقه إليه غيره من السلف .

وإن أراد القائل بالحرف والصوت أن الأصوات المسموعة من القرآن ، والمداد الذى فى المصاحف قديم أزلى ، أخطأ وابتدع ، وقال ما يخالف العقل والشرع ، فإن النبى ﷺ قال : « زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » فبيّن أن الصوت صوت القارئ ، والكلام كلام البارئ ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (٣) ، فالقرآن الذى يقرؤه المسلمون كلام الله لا كلام غيره كما ذكر الله ذلك ، وفى السنن عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ كان يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول : « ألا رجل يحملنى إلى قومه لأبْلَغَ كلام ربي فإن قريشاً قد منعونى أن أبْلَغَ كلام ربي » ، وقالوا لأبى بكر الصديق لما قرأ عليهم : ﴿ أَلَمْ \* غَلَبَتِ الرُّومُ ﴾ (٤) : أهذا كلامك أم كلام صاحبك ؟ فقال: ليس بكلامى ولا كلام صاحبى ولكنه كلام الله تعالى .

والناس إذا بُلِّغوا كلام النبى ﷺ كقوله : « إنما الأعمال بالنيّات » أن الحديث الذى يسمعون حديث النبى ﷺ تكلم به بصوته وبحروفه ومعانيه ، والمحدث بُلِّغه عنه بصوت نفسه لا بصوت النبى ﷺ ، فالقرآن أولى أن يكون كلام الله إذا بُلِّغته الرسل عنه وقرأته الناس بأصواتهم .

(٢) المسد : ١

(١) الإخلاص : ١

(٤) الروم : ١ - ٢

(٣) التوبة : ٦

والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه ، ونادى موسى بصوت نفسه ، كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف ، وصوت العبد ليس هو صوت الرب ولا مثل صوته ، فإن الله ليس كمثل شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .

وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة من أن الله ينادى بصوت ، وأن القرآن كلامه تكلم بحرف وصوت ليس منه شيء ، كلاماً لغيره ، لا جبريل ولا غيره ، وأن العباد يقرأونه بأصوات أنفسهم وأفعالهم ، فالصوت المسروع من العبد صوت القارئ ، والكلام كلام البارئ .

• خطأ عدم التمييز بين صوت العبد وصوت الرب نفيًا وإثباتًا :

وكثير من الحائضين فى هذه المسألة لا يميز بين صوت العبد وصوت الرب ، بل يجعل هذا هو هذا فينفيهما جميعاً أو يشبههما جميعاً ، فإذا نفى الحرف والصوت نفى أن يكون القرآن العربى كلام الله ، وأن يكون منادياً لعباده بصوته ، وأن يكون القرآن الذى يقرؤه المسلمون هو كلام الله كما نفى أن يكون صوت العبد صفة لله عز وجل ، ثم جعل كلام الله المتنوع شيئاً واحداً لا فرق بين القديم والحادث ، وهو مصيب فى هذا الفرق دون ذلك الثانى الذى فيه نوع من الإخاد والتعطيل ، حيث جعل الكلام المتنوع شيئاً واحداً لا حقيقة له عند التحقيق .

وإذا ثبت جعل صوت الرب هو صوت العبد ، أو سكت عن التمييز بينهما مع قوله : إن الحروف متداية فى الوجود ، مقترنة فى الذات ، قديمة أزلية الأعيان ، فجعل عين صفة الرب تحمل فى العبد أو يتحد بصفته فقال بنوع من الحلول والاتحاد يفضى إلى نوع من التعطيل .

وقد علم أن عدم الفرق والمباينة بين الخالق وصفاته ، والمخلوق وصفاته - خطأ وضلال لم يذهب إليه أحد من سلف الأمة وأئمتها ، بل هم متفقون على التمييز بين صوت الرب وصوت العبد ، ومتفقون أن الله تكلم بالقرآن الذى أنزله على

نبيه ﷺ حروفه ومعانيه ، وأنه ينادى عباده بصوته ، ومتفقون على أن الأصوات المسموعة من القراءة أصوات العباد ، وعلى أنه ليس شئ من أصوات العباد ولا مداد المصاحف قديماً ، بل القرآن مكتوب في مصاحف المسلمين مقروء بالسنتهم ، محفوظ بقلوبهم ، وهو كله كلام الله . والصحابة كتبوا المصاحف لما كتبوها بغير شكل ولا نقط لأنهم كانوا عربياً لا يلحنون ، ثم لما حدث اللحن نقط الناس المصاحف وشكلوها ، فإن كتبت بلا شكل ولا نقط جاز ، وإن كتبت بنقط وشكل جاز ، ولم يكره في أظهر قولى العلماء ، وهو إحدى الروایتين عن أحمد .

● حروف المصاحف ونقطها وشكلها مخلوقة ، وكلام الله فيها غير مخلوق :

وحكم النقط والشكل حكم الحروف ، فإن الشكل يبيِّن إعراب القرآن كما يبيِّن النقط الحروف ، والمداد الذى يكتب به الحروف ويكتب به الشكل والنقط مخلوق ، وكلام الله العربى الذى أنزله وكتب فى المصاحف بالشكل والنقط وبغير شكل ونقط ليس بمخلوق ، وحكم الإعراب حكم الحروف ، لكن الإعراب لا يستقل بنفسه بل هو تابع للحروف المرسومة ، فلماذا لا يحتاج لتجريدتها وإفرادها بالكلام ، بل القرآن الذى يقرؤه المسلمون هو كلام الله ومعانيه وحروفه وإعرابه ، والله تكلم بالقرآن العربى الذى أنزله على محمد ﷺ ، والناس يقرأونه بأفعالهم وأصواتهم . والمكتوب فى مصاحف المسلمين هو كلام الله وهو القرآن العربى الذى أنزل على نبيه سواء كتبت بشكل ونقط أو بغير شكل ونقط ، والمداد الذى كتبت به القرآن ليس بتقديم بل هو مخلوق ، والقرآن الذى كتبت فى المصحف بالمداد هو كلام الله منزل غير مخلوق ، والمصاحف يجب احترامها باتفاق المسلمين لأن كلام الله مكتوب فيها ، واحترام النقط والشكل إذا كتبت المصحف مشكلاً منقوفاً كاحترام الحروف باتفاق علماء المسلمين ، كما أن حرمة إعراب القرآن كحرمة حروفه المنقوطة باتفاق المسلمين ، ولهذا قال أبو بكر وعمر : حفظ إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه .

● الآيات الدالة على أنه تعالى يتكلم بما شاء شيئاً بعد شيء :

والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه ، فجميعه كلام الله فلا يقال : بعضه كلام الله وبعضه ليس بكلام الله ، وهو سبحانه نادى موسى بصوت سمعه موسى ، فإنه قد أخبر أنه نادى موسى فى غير موضع من القرآن كما قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى \* إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (١) ، والنداء لا يكون إلا صوتاً باتفاق أهل اللغة ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا \* وَرَسُولًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (٢) ، فقد فرّق الله بين إيحائه إلى النبيين وبين تكليمه لموسى ، فمن قال : إن موسى لم يسمع صوتاً بل ألهم معناه ، لم يفرّق بين موسى وغيره وقد قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ (٤) ، فقد فرّق بين الإيحاء والتكلم من وراء حجاب كما كَلَّمَ اللَّهُ موسى ، فمن سوى بين هذا وهذا كان ضالاً .

وقد قال الإمام أحمد رضى الله عنه وغيره : لم يزل الله متكلماً إذا شاء وهو يتكلم بمشيئته وقدرته ، يتكلم بشئ بعد شئ ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴾ (٥) فناداه حين أتاه ولم يناده قبل ذلك ، وقال تعالى :

(١) النازعات : ١٦ (٢) النساء : ١٦٣ - ١٦٤ (٣) البقرة : ٢٥٣

(٤) الشورى : ٥١ (٥) طه : ١١

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (١) ، فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها ولم ينادهما قبل ذلك ، وكذلك قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ (٢) بعد أن خلق آدم وصوره ولم يأمرهم قبل ذلك ، وكذا وقوله : ﴿ إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ ، خَلَقْتُهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣) ، فأخبر أنه قال له : كن ، فيكون - بعد أن خلقه من تراب ، ومثل هذا الخبر في القرآن كثير يخبر أنه تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين . وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه لما خرج إلى الصفا قرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمَا وَالْأَرْضَ وَالْمُرُوءَ وَالشَّجَائِرَ وَاللَّهُ ﴾ (٤) وقال : « نبدأ بما بدأ الله به » ، فأخبر أن الله بدأ بالصفا قبل المروة .

والسلف اختلفوا على أن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود . فظن بعض الناس أن مرادهم أنه قديم العين ، ثم قالت طائفة : هو معنى واحد وهو الأمر بكل مأمور والنهي عن كل منهي ، والخبر بكل مخبر ، إن عبر عنه بالعربية كان قرأناً ، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة ، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً . وهذا القول مخالف للشرع والعقل .

وقالت طائفة : هو حروف وأصوات قديمة الأعيان لازمة لذات الله لم تزل لازمة لذاته ، وإن الباء والسين والميم موجودة مقترنة ببعضها ببعض معاً أزلاً وأبداً ، لم تزل ولا تزال لم يسبق منها شيء شيئاً . وهذا أيضاً مخالف للشرع والعقل .

(٢) الأعراف : ١١

(٤) البقرة : ١٥٨

(١) الأعراف : ٢٢

(٣) آل عمران : ٥٩

● مَنْ أَنْكَرَ تَكْلِيمَهُ تَعَالَى وَنَدَاءَهُ لِمُوسَى بِمَشِيئَتِهِ وَاخْتِيَارَهُ حَقِيقَةً :

وقالت طائفة : إنَّ الله لا يتكلم بمشيئته وقُدْرته ، وأنه في الأزَل كان متكلماً بالنداء الذى سمعه موسى ، وإنما تجدد استماع موسى لا أنه ناداه حين أتى الوادى المقدس ، بل ناداه قبل ذلك بما لا يتناهى ولكن تلك الساعة سمع النداء . وهؤلاء وافقوا الذين قالوا : « إنَّ القرآن مخلوق » فى أصل قولهم . فإنَّ أصل قولهم : إنَّ الرب لا تقوم به الأمور الاختيارية فلا يقوم به كلام ولا فعل باختياره ومشيئته ، وقالوا : هذه حوادث والرب لا تقوم به الحوادث ، فخالفوا صحيح المنقول وصريح المعقول ، واعتقدوا أنهم بهذا يردون على الفلاسفة ويشبتون حدوث العالم ، وأخطأوا فى ذلك ، فلا للإسلام نصروا ، ولا للفلاسفة كسروا . وادعوا أن الرب لم يكن قادراً فى الأزَل على كلام يتكلم به ولا فعل يفعله ، وأنه صار قادراً بعد أن لم يكن قادراً بغير أمر حدث ، أو يغيرون العبارة فيقولون : لم يزل قادراً ، لكن يقولون إنَّ المتدور كان ممتنعاً ، وإن الفعل صار ممكناً له بعد أن صار ممتنعاً عليه من غير تجدد شيء ، وقد يعبرون عن ذلك بأن يقولوا : كان قادراً فى الأزَل على ما يمكن فيما لا يزال ، لا على ما لا يمكن فى الأزَل ، فيجمعون بين التقيضين ، حيث يشبتونه قادراً فى حال كون المتدور عليه ممتنعاً عندهم ، ولم يفرقوا بين نوع الكلام والفعل وبين عينه كما لم يفرق الفلاسفة بين هذا وهذا ، بل الفلاسفة ادعوا أن مفعوله المعين قديم بقدمه ، فضلوا فى ذلك وخالفوا صريح المعقول وصحيح المنقول . فإن الأدلة لا تدل على قديم شيء بعينه من العالم بل تدل على أن ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن ، إذ هو فاعل بقُدْرته ومشيئته كما تدل على ذلك الدلائل القطعية ، والفاعل بمشيئته لا يكون شيء من مفعوله لازماً بصريح العقل واتفاق عامة العقلاء ، بل وكل فاعل لا يكون شيء من مفعوله لازماً لذاته ، ولا يتصور مقارنة مفعوله المعين له ، ولو قُدِّر أنه فاعل بغير إرادة فكيف الفاعل بالإرادة .

## ● المعلول مقارن علته إذا جرت مجرى الشروط :

وما يُذكر بأنَّ المعلول يقارن علته إنما يصح فيما كان من العلل يجري مجرى الشروط ، فإن الشرط لا يجب أن يتقدم على المشروط بل قد يقارنه كما تقارن الحياة العلم ، وأما ما كان فاعلاً سواء سمي علة أو لم يسم علة فلا بد أن يتقدم على الفعل المعين ، والفعل المعين لا يجوز أن يقارنه شيء من مفعولاته ، ولا يعرف العقلاء فاعلاً قط يلتزمه مفعول معين ، وقول القائل : حركتُ يدي فتحرك الخاتم هو من باب الشروط لا من باب الفاعلين <sup>(١)</sup> ، ولأنه لو كان العالم قديماً لكان فاعله موجباً بذاته في الأزل ولم يتأخر عنه موجب ومقتضاه ، ولو كان كذلك لم يحدث شيء من الحوادث وهذا خلاف المشاهدة ، وإن كان هو سبحانه لم يزل قادراً على الكلام والفعل <sup>(١)</sup> بل لم يزل متكلماً إذا شاء فاعلاً لما يشاء ، ولم يزل موصوفاً بصفات الكمال ، منعوتاً بنعوت الجلال والإكرام ، والعالم فيه من الأحكام والاتقان ما دلَّ على علم الرب ، وفيه من الاختصاص ما دلَّ على مشيئته ، وفيه من الإحسان ما دلَّ على رحمته ، وفيه من العواقب الحميدة ما دلَّ على حكمته ، وفيه من الحوادث ما دلَّ على قدرة الرب تعالى ، مع أن الرب مستحق لصفات الكمال لذاته ، فإنه مستحق لكل كمال ممكن للوجود لا نقص فيه منزّه عن كل نقص ، وهو سبحانه ليس له كفو في شيء من أموره ، فهو موصوف بصفات الكمال على وجه التفصيل منزّه فيها عن التشبيه والتمثيل ، ومنزّه عن النقائص مطلقاً ، فإن وصفه بها من أعظم الأباطيل ، وكماله من لوزام ذاته المقدسة لا يستفيده من غيره بل هو المنعم على خلقه بالخلق والإنشاء وما جعله فيهم من صفات الإحياء ، وخالق صفات الكمال أحق بها ، ولا كفو له فيها .

(١) لينظر العطف في هذه الجملة الشرطية على أي شيء يقابله ، ولينظر جواب شرطها أين

• أصل الاضطراب فى كلام الله « المناظرة فى مسألة حدوث العالم » :

وأصل اضطراب الناس فى مسألة كلام الله أن الجهمية والمعتزلة لما ناظرت الفلاسفة فى مسألة حدوث العالم اعتقدوا أن ما يقوم به من الصفات والأفعال المتعاقبة لا يكون إلا حادثاً بناء على أن ما لا يتناهى لا يمكن وجوده (١) ، والتزموا أن الرب كان فى الأزل غير قادر على الفعل والكلام ، بل كان ذلك ممنوعاً عليه وكان معطلاً عن ذلك ، وقد يعبرون عن ذلك بأنه كان قادراً فى الأزل على الفعل فيما لا يزال مع امتناع الفعل عليه فى الأزل ، فيجمعون بين النقيضين حيث يصفونه بالقُدرة فى حال امتناع المقدور لذاته إذ كان الفعل يستلزم أن يكون له أول ، والأزل لا أول له ، والجمع بين إثبات الأولية ونفيها جمع بين النقيضين .

ولم يهتدوا إلى الفرق بين ما يستلزم الأولية والحدوث وهو الفعل المعين والمفعول المعين ، وبين ما لا يستلزم ذلك وهو نوع الفعل والكلام ، بل هذا يكون دائماً وإن كان كل من آحاده حادثاً كما يكون دائماً فى المستقبل وإن كان كل من آحاده فانياً ، بخلاف خالق يلزمه مخلوقه المعين دائماً ، فإن هذا هو الباطل فى صريح العقل وصحيح النقل ، ولهذا اتفقت فطر العقلاء على إنكار ذلك لم ينازع فيه إلا شذمة من المتفلسفة كابن سينا وأمثاله الذين زعموا أن الممكن المفعول قد يكون قديماً واجب الوجود بغيره ، فخالقوا فى ذلك جماهير العقلاء مع مخالفتهم لسلفهم أرسطو وأتباعه ، فإنه لم يكونوا يقولون ذلك وإن قالوا بقدم الأفلاك ، وأرسطو أول من قال بقدمها من الفلاسفة المشائين بناء على إثبات علّة غائية لحركة الفلك يتحرك الفلك للتشبه بها ، لم يشبثوا له فاعلاً مبدعاً ولم يشبثوا ممكناً قديماً واجباً بغيره ، وهم وإن كانوا أجهل بالله وأكفر من

---

(١) معنى فى الأزل ، تركه للعلم به .. أو سقط من النسخ .

متأخريهم فهم يسلمون لجمهور العقلاء أن ما كان ممكناً بذاته فلا يكون إلا محدثاً مسبقاً بالعدم فاحتاجوا أن يقولوا : كلامه مخلوق منفصل عنه .

● مذهب طوائف المبتدعة المخالفة للنصوص فى كلام الله وأفعاله :

وطائفة وافقتهم على امتناع وجود ما لا نهاية له لكن قالوا تقوم به الأمور الاختيارية فقالوا : إنه فى الأزل لم يكن متكلماً بل ولا كان الكلام مقدوراً له ، ثم صار متكلماً بلا حدوث حادث بكلام يقوم به وهو قول الهاشمية والكرامية وغيرهم .

وطائفة قالت : إذ كان القرآن غير مخلوق فلا يكون إلا قديم العين لازماً لذات الرب فلا يتكلم بمشيئته وقدرته ، ثم منهم من قال : هو معنى واحد قديم ، فجعل آية الكرسي وآية الدين وسائر آيات القرآن والتوراة والإنجيل وكل كلام يتكلم الله به معنى واحداً لا يتعدد ولا يتبعض ، ومنهم من قال : إنه حروف وأصوات مقترنة لازمة للذات ، وهؤلاء أيضاً وافقوا الجهمية والمعتزلة فى أصل قولهم : إنه متكلم بكلام لا يقوم بنفسه ومشيئته وقدرته ، وأنه لا تقوم به الأمور الاختيارية ، وأنه لم يستو على عرشه بعد أن خلق السموات والأرض ، ولا يأتى يوم القيامة ، ولم يناد موسى حين ناداه ، ولا تفضيه المعاصى ولا ترضيه الطاعات ، ولا تفرحه توبة التائبين . وقالوا فى قوله : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ... ونحو ذلك : إنه لا يراها إذا وجدت ، بل إما أنه لم يزل رانياً لها ، وإما أنه لم يتجدد شي ، موجود بل تعلق معدوم .... إلى أمثال هذه المقالات التى خالفوا فيها نصوص الكتاب والسنة مع مخالفة صريح العقل .

(١) التوبة : ١٠٥

والذى أجهلهم لذلك موافقتهم للجهمية على أصل قولهم فى أنه سبحانه لا يقدر فى الأزل على الفعل والكلام ، وخالفوا السكف والأئمة فى قولهم : لم يزل الله متكلماً إذا شاء ، ثم افترقوا أحزاباً كما تقدم : الخلقية ، والحدوثية ، والاتحادية ، والاقترانية .

● شر المبتدعة « الصابئة والمتفلسفة » وإبطال قولهم :

وشر من هؤلاء الصابئة والفلاسفة الذين يقولون : إن الله لم يتكلم لا بكلام قائم بذاته ولا بكلام يتكلم به بمشيئته وقدرته ، لا قديم النوع ولا قديم العين ، ولا حادث ولا مخلوق ، بل كلامه عندهم ما يفيض على نفوس الأنبياء ، ويقولون : إنه كلم موسى من سماء عقله ، وقد يقولون : إنه تعالى يعلم الكلبيات دون الجزئيات ، فإنه إنما يعلمها على وجه كلى ، ويقولون مع ذلك : إنه يعلم نفسه ويعلم ما يفعله .

وقولهم : « يعلم نفسه ومفعولاته » حق ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١) ، لكن قولهم مع ذلك : « إنه لا يعلم الأعيان المعينة » ، جهل وتناقض ، فإن نفسه المقدسة معينة ، والأفلاك معينة ، وكل موجود معين ، فإن لم يعلم المعينات لم يعلم شيئاً من الموجودات ، إذ الكلبيات إنما تكون كلييات فى الأذهان لا فى الأعيان ، فمن لم يعلم إلا الكلبيات لم يعلم شيئاً من الموجودات ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وهم إنما أجهلهم إلى هذا الإلحاد فرارهم من تحدد الأحوال للبارئ تعالى ، مع أن هؤلاء يقولون : إن الحوادث تقوم بالقديم ، وإن الحوادث لا أول لها ، لكن نفوا ذلك عن البارئ لاعتقادهم أنه لاصفة له بل هو وجود مطلق ، وقالوا : إن العلم نفس عين العالم ، والقُدرة نفس عين القادر ، والعلم والعالم شىء واحد ، والمريد والإرادة شىء واحد ، فجعلوا هذه الصفة هى الأخرى ، وجعلوا الصفات هى الموصوف .

(١) الملك : ١٤

ومنهم مَنْ يقول : بل العلم كل المعلوم - كما يقوله الطوسي صاحب شرح الإشارات - فإنه أنكر على ابن سينا إثباته لعلمه بنفسه وما يصدر عن نفسه ، وابن سينا أقرب إلى الصواب لكنه تناقض مع ذلك حيث نفى قيام الصفات به ، وجعل الصفة عين الموصوف وكل صفة هي الأخرى .

ولهذا كان هؤلاء هم أوغل في الاتحاد والإلحاد ممن يقول : « معانى الكلام شيء واحد » ، لكنهم ألزموا قولهم لأولئك ، فقالوا : إذا جاز أن تكون المعانى المتعددة شيئاً واحداً ، جاز أن يكون العلم هو القُدرة ، والقُدرة هي الإرادة ، فاعترف حُذاق أولئك بأن هذا الإلزام لا جواب عنه .

### ● اللوازم الباطلة ديناً وعقلاً للنظريات في كلامه تعالى وصفاته :

ثم قالوا : وإذا جاز أن تكون هذه الصفة هي الأخرى ، والصفة هي الموصوف ، جاز أن يكون الموجود الواجب القديم الخالق هو الموجود الممكن المحدث المخلوق ، فقالوا : إن وجود كل مخلوق هو عين وجود الخالق ، وقالوا : الوجود واحد ، ولم يفرقوا بين الواحد بالنوع والواحد بالعين ، كما لم يفرق أولئك بين الكلام الواحد بالعين ، والكلام الواحد بالنوع .

وكان منتهى أمر أهل الإلحاد في الكلام إلى هذا التعطيل والكفر والاتحاد الذي قاله أهل الوحدة والحلول والاتحاد في الخالق والمخلوقات ، كما أن الذين لم يفرقوا بين نوع الكلام وعينه وقالوا : هو يتكلم بحرف وصوت قديم ، قالوا أولاً : إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته ولا تسبق الباء السين ، بل لما نادى موسى فقال : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ ... إلى (١) : ﴿ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ كانت الهمزة والنون وما بينهما موجودات في الأزل يقارن بعضها بعضاً ، لم تزل ولا تزال لازمة لذات الله .

---

(١) كذا في الأصل والآية الأولى من سورة طه (١٤) ، والتي بعد « إلى » من سورة القصص (٣٠) فهي ليست غاية لما قبلها ، فيظهر أن في الكلام تحريفاً أو سقطاً من النسخ ، والمراد مفهوم على كل حال .

ثم قال فريق منهم : إن ذلك القديم هو نفس الأصوات المسموعة من القراء ، وقال بعضهم : بل المسموع صوتان : قديم ومحدث - وقال بعضهم : أشكال المداد قديمة أزلية . وقال بعضهم : محل المداد قديم أزلي . وحكى عن بعضهم أنه قال : المداد قديم أزلي ، وأكثرهم يتكلمون بلفظ القديم ولا يفهمون معناه ، بل منهم من يظن أنه قديم فى علمه ، ومنهم من يظن أن معناه متقدم على غيره ، ومنهم من يظن أن معنى اللفظ أنه غير مخلوق ، ومنهم من لا يميز بين ما يقول ، فصار هؤلاء حلولية اتحادية فى الصفات ، ومنهم من يقول بالحلول والاتحاد فى الذات والصفات ، وكان منتهى أمر هؤلاء وهؤلاء إلى التعطيل .

والصواب فى هذا الباب وغيره مذهب سلك الأمة وأتمتها : أنه سبحانه لم يزل متكلماً إذا شاء ، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته ، وأن كلماته لا نهاية لها ، وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى ، وإنما ناداه حين أتى لم يناده قبل ذلك ، وأن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد ، كما أن علمه لا يماثل علمهم ، وقدرته لا تماثل قدرتهم ، وأنه سبحانه بائن عن مخلوقاته بذاته وصفاته ، ليس فى مخلوقاته شيء من ذاته وصفاته القائمة بذاته ، ولا فى ذاته شيء من مخلوقاته ، وأن أقوال أهل التعطيل والاتحاد ، الذين عطلوا الذات أو الصفات أو الكلام أو الأفعال باطلة ، وأقوال أهل الحلول الذين يقولون بالحلول فى الذات أو الصفات باطلة ، وهذه الأمور مبسوسة فى غير هذا الموضع وقد بسطناها فى الواجب الكبير .. والله أعلم بالصواب .

\* \* \*

## فتوى أخرى لشيخ الإسلام

فى إثبات أن الكلام صفة المتكلم لا عينه ولا غيره

سئل أيضاً رضى الله عنه : ما تقول السادة العلماء الجهابذة أئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين ، فيمن يقول : الكلام غير المتكلم ، والقول غير القائل ، والقرآن والمقروء والقارئ كل واحد منها له معنى ، بينوا لنا ذلك بياناً شافياً ليصل إلى ذهن الحاذق والبليد .. أثابكم الله بئنه .

● فأجاب رضى الله عنه : الحمد لله ، من قال : « إن الكلام غير المتكلم والقول غير القائل » وأراد أنه مباين له ومنفصل عنه فهذا خطأ وضلال ، وهو قول من يقول : « إن القرآن مخلوق » فإنهم يزعمون أن الله لا يقوم به صفة من الصفات لا القرآن ولا غيره ، ويوهمون الناس بقولهم : العلم غير العالم ، والقدرة غير القادر ، والكلام غير المتكلم . ثم يقولون : وما كان غير الله فهو مخلوق ، وهذا تلبيس منهم .

فإن لفظ « الغير » يُراد به ما يجوز مباينته للآخر ومفارقتة له ، وعلى هذا فلا يجوز أن يُقال : علم الله غيره ، ولا يُقال : إن الواحد من العشرة غيرها ... وأمثال ذلك ، وقد يُراد بلفظ « الغير » ما ليس هو الآخر ، وعلى هذا فتكون الصفة غير الموصوف ، لكن على هذا المعنى لا يكون ما هو غير ذات الله الموصوفة بصفاته مخلوقاً ، لأن صفاته ليست هى الذات لكن قائمة بالذات ، والله سبحانه وتعالى هو الذات المقدسة الموصوفة بصفات كماله ، وليس الاسم اسماً لذات لا صفات لها ، بل يمتنع وجود ذات لا صفات لها .

● قول السلف : « القرآن كلام الله ، منه بدأ وإليه يعود » :

والصواب فى مثل هذا أن يقال : الكلام صفة المتكلم ، والقول صفة القائل ، وكلام الله ليس مبايناً منه بل أسمعته لجبريل ونزل به على محمد ﷺ

كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (١) ، ولا يجوز أن يقال : إن كلام الله فارق ذاته وانتقل إلى غيره . بل يقال كما قال السلف : إنه كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود . فقولهم : « منه بدأ » رد على مَنْ قال : إنه مخلوق في بعض الأجسام ومن ذلك المخلوق ابتداء .. فبيئنا أن الله هو المتكلم به « ومنه بدأ » لا من بعض المخلوقات ، « وإليه يعود » أى فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف حرف ، وأما القرآن فهو كلام الله .

فمن قال : « إن القرآن الذى هو كلام الله غير الله » فخطؤه وتلييسه كخطأ مَنْ قال : إن الكلام غير المتكلم ، وكذلك مَنْ قال : « إن كلام الله له مقروء غير القرآن الذى تكلم به » فخطؤه ظاهر ، وكذلك مَنْ قال : « إن القرآن الذى يقرؤه المسلمون غير المقروء الذى يقرؤه المسلمون » فقد أخطأ .

#### ● الضلال فى الألفاظ المجملة إذا لم يبين المراد منها :

وإن أراد بالقرآن مصدر : قرأ يقرأ قراءة وقرآناً ، وقال : أردت أن القراءة غير المقروء فلفظ القراءة مجمل ، قد يراد بالقراءة القرآن ، وقد يراد بالقراءة المصدر ، فمن جعل القراءة التى هى المصدر غير المقروء كما يجعل التكلم الذى فعله غير الكلام الذى هو يقوله ، وأراد بالغير أنه ليس هو إياه فقد صدق ، فإن الكلام الذى يتكلم به الإنسان يتضمن فعلاً كالحركة ويتضمن ما يقترن بالفعل من الحروف والمعانى ، ولهذا يجعل القول قسيماً للفاعل تارة ، وقسماً منه أخرى ، فالأول كما يقول : « الإيمان قول وعمل » ، ومنه قوله ﷺ : « إن الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به » ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (٢) ،

(٢) فاطر : ١٠ .

(١) الأنعام : ١١٤

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾ (١) ... وأمثال ذلك فيما يفرق بين القول والعمل ، وأما دخول القول في العمل ففي مثل قوله تعالى : ﴿ قَوْرَبِكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) ، وقد فسّره بقول : « لا إله إلا الله » ، ولما سُئِلَ ﷺ أى الأعمال أفضل ؟ قال : « الإيمان بالله » ، مع قوله : « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق » ... ونظائر ذلك متعددة .

وقد تنوزع فيمن حلف لا يعمل عملاً - إذا قال قولاً كالقراءة ونحوها - هل يحنث ؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره بناء على هذا .

فهذه الألفاظ التى فيها إجمال واشتباه إذا فصلت معانيها وإلا وقع فيها نزاع واضطراب .. والله سبحانه وتعالى أعلم .

« تم الكتاب المجموع .. ولله الحمد »

\* \* \*

## تذييل

يقول الشيخ محمد رشيد رضا - محقق الكتاب في طبعته الأولى - :  
« قد جمع هذه المباحث والفتاوى عالم الشام السكفي الأثري ، الأستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي الشهير - رحمه الله - من كتاب الكواكب وغيره من كتب شيخ الإسلام وفتاويه ، وأرسله إلى صديقنا السكفي الأثري السري ، صاحب الفضيلة الشيخ محمد نصيف الحجازي ، وقد رفعه هذا إلى الإمام الهمام ، ومحیی مذهب السكف وسُنَّة خير الأنام ، عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، فبادر إلى إصدار أمره إلينا بطبعه مع رسائل أخرى لشيخ الإسلام - قدس الله - روحه لنشره في مملكته وغيرها كسائر مطبوعاته النافعة ( وهي ما حواه هذا المجموع ) .

وكنا نظن أن المرحوم القاسمي عنى بقراءته وتصحيحه بنفسه ، فأراحنا من التعب في طبعه ، ولكننا وجدنا فيه من الغلط والتحريف ما استبعدنا معه أن يكون عنى بتصحيحه ، وقد هون علينا تصحيحه ما فيه من تكرار المسائل فاستفدنا من مقابلة بعضها ببعض .

وأما قيمة هذا المجموع الدينية العلمية فهي لا تُقَدَّر ، والتكرار فيه مفيد فإن هذه التحقيقات الواسعة قلما يعيها أحد إلا إذا تكررت على ذهنه مراراً كثيرة .

ومن الغريب أن هذه المسائل كان يكتبها شيخ الإسلام - قدس الله روحه - أو يليها من غير مراجعة كتاب من الكتب ، وهي من الآيات البيّنات ، والبراهين الواضحات ، على أن هذا الرجل من أكبر آيات الله في خلقه ، أيد بها كتابه الذي قال فيه إنه : ﴿ يَهْدِي لِّلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (١) ، وسُنَّة رسوله ﷺ ، وما كان عليه السكف الصالح من فهمها ، والاعتصام بها .

---

(١) الإسراء : ٩

وَيُعَلِّمُ مِنْ كُلِّ فِتْوَى مِنْهَا - بله جملتها ومجموعها - أنه رحمه الله تعالى قد جمع من العلوم النقلية والعقلية ، الشرعية والتاريخية والفلسفية ، ومن الإحاطة بمذاهب الملل والنحل وآراء المذاهب ومقالات الفرق حفظاً وفهماً ما لا نعلم مثله عن أحد من علماء الأرض قبله ولا بعده ، وأغرب من حفظه لها استحضاره إياها عند التكلم والإملاء أو الكتابة ، وأعظم من ذلك ما آتاه الله من قوة الحكم في إبطال الباطل وإحقاق الحق في كل منها بالبراهين النقلية والعقلية ، ونصر مذهب السلف في فهم الكتاب والسنة على كل ما خالفه من مذاهب المتكلمين والفلاسفة وغيرهم ... ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١) « اهـ .

\* \* \*

---

(١) الحديد : ٢١ ، والجمعة ٤